مصابيح الضحى

إضاءات دعوية من قصص أولي العزم
من الرسل ويوسف عليهم السلام

د . سامي بشير حافظ
دكتوراه من قسم الدعوة والثقافة بجامعة أم القرى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net

شبكة الألوكة

حقوق الطبع محفوظة

ح دار الاوراق للنشر والتوزيع ، ١٤٤٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

حافظ ، سامي بشير

مصابيح الدجى. / سامي بشير حافظ .- جدة ، ١٤٤٢هـ

٢٥٦ ص ؛ ..سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٣٢٢-٠٤-٨

١- الدعوة الاسلامية ٢- الاخلاق الاسلامية ٣- الدعاة أ.العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٤٢/١٩٧٠

رقم الإيداع: ردمك:

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

دار الأوراق للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

ص ب: ١٥٥٣٣ جدة ٢١٤٥٤ الإدارة: ‎+٩٦٦٥٠٠٥٣١٨٧٦٧

تليفاكس: ‎+٩٦٦٢٦٨٠٣٠٠٢

جدة: ٠٥٣٧٢٥٤٩٣٩ المدينة المنورة: ٠٥٥٠٧٦٢٠٧٨

www.daralawraq.com.sa

daralawraq@gmail.com

@daralawraq

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مصابيح الدُّجى

إضاءات دعوية من قصص أولي العزم من الرسل ويوسف عليهم الصلاة والسلام

د. سامي بن بشير

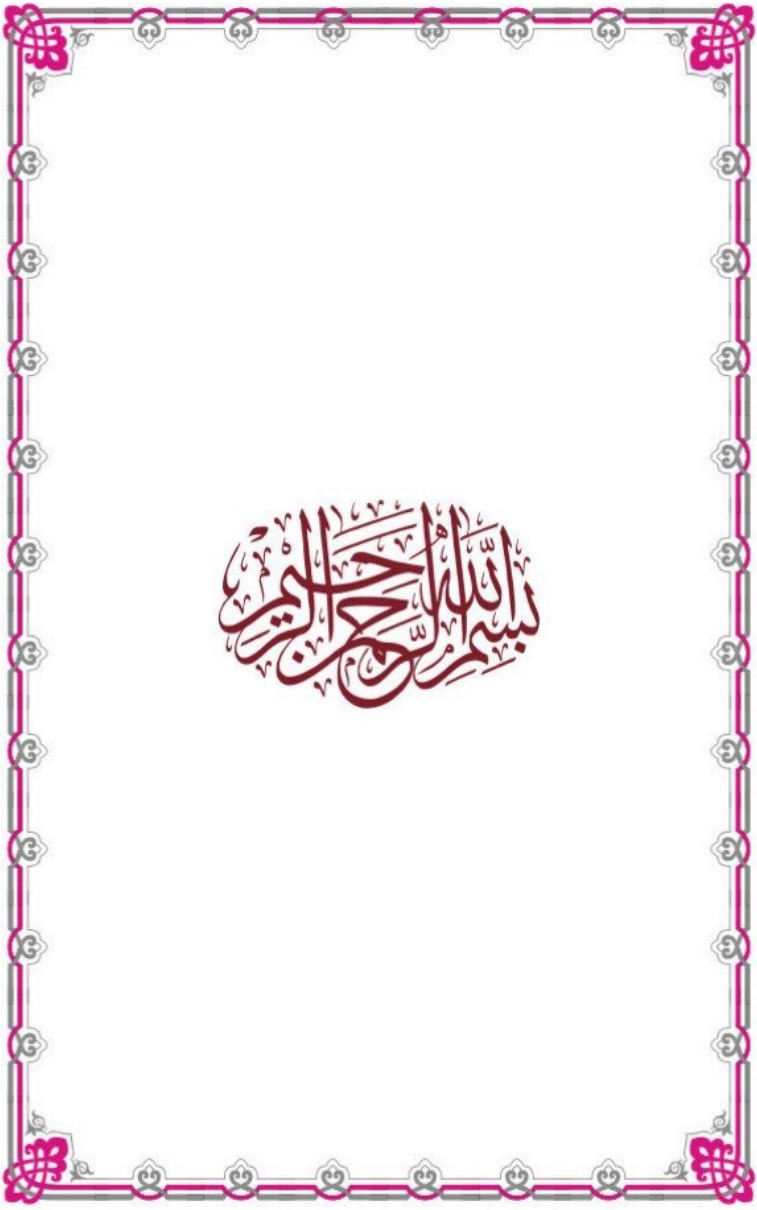
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإنَّ الدعوة إلىٰ الله من أشرف الأعمال والوظائف وأعظمها أجرًا وأكثرها أثرًا ونفعًا، كيف لا وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، وما بعث الله عباده الأنبياء وأرسلهم إلا من أجل القيام بها، وقد أوجبها الله علىٰ طائفة من المؤمنين، وجعلها فرض كفاية علىٰ الأمة، فقال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والدعوة إلىٰ الله طاعة وقربة إليه، فيجب القيام بها بما شرع، وإنَّ القيام بمثل هذه المهمة يحتاج إلىٰ آداب وصفات وضوابط

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ووسائل وأساليب، لتكون الدعوة وفق مراد الله وتُؤتي ثمارها، ويكون القيام بها علىٰ أحسن وجه وأكمله وأتمه.

وإنَّ مثل ذلك يُعرف بالكتاب والسنة وبهدي أنبياء الله ورسله جميعًا، فهم القدوة والأسوة للناس أجمعين وللدعاة بوجه أخص، قال تعالىٰ عن نبيه محمد ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال بعد أن ذكر سبعة عشر نبيًا في سورة الأنعام مُوصيًا نبيه وسائر الأمة بالاقتداء بهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال عنهم: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال مخاطبًا نبيه عليه السلام: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

فأنبياء الله جميعًا هم القدوة الحسنة لجميع البشر بمن فيهم الدعاة إلىٰ الله، فهم قدوة في تزكية الأخلاق وإصلاحها، وقدوة في بناء الأخلاق والسلوك، وقدوة في العبادة والطاعة، وقدوة في دعوة الناس وإرشادهم ونصحهم وتوجيههم،

والتعامل مع سائر المواقف والأحداث.

ولا يخفىٰ علينا أنَّ الناس جميعًا والدعاة خاصة في حاجة في كل زمان ومكان لبيان منهج الأنبياء وأخلاقهم وسيرتهم، لاسيَّما في جانب الدعوة إلىٰ الله وبيان كيفيتها وصفات الداعية وأسلوبه وخطابه وأفعاله وأقواله، وقد تكون الحاجة أكثر في هذا الزمن الذي تعددت فيه وسائل الدعوة وتنوعت أساليبها، وساء خُلق البعض من العباد، وقلَّ الصبر والاحتمال، فالحاجة إلىٰ الرجوع إلىٰ القدوات بات أمرًا مُلحًّا مهمًا.

لذا فقد كان هذا المؤلَّف والذي عنونتُ له: بـ «مصابيح الدُّجىٰ» والدُّجىٰ سواد الليل وظلمته، فأنبياء الله هم المصابيح الذين أناروا للبشرية أجمعين طريقهم إلىٰ الحق والهدىٰ، وأضاؤوا للدُّعاة خاصة طريقهم في الدعوة إلىٰ الله والسير إليه.

وكان منهجي في ذلك اختيار أولي العزم من الرسل، وذلك لعظم فضلهم ومكانتهم ولكثرة قصصهم وسيرتهم ومواقفهم الدعوية في القرآن الكريم، إضافة إلىٰ نبي الله يوسف عليه السلام،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأولو العزم هم: (نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمد صلىٰ الله عليهم وسلم)، وحاولت أن أجمع الآيات الواردة في شأن دعوة هؤلاء الأنبياء، ولم يكن هدفي استقصاء جميع الآيات، بل الوقوف عند بعضها، حيث إنني أقف معها متأملًا مستنبطًا ما فيها من درر وكنوز وعبر في ضوء ما ذكره المفسِّرون، وما اتضح لي من معانٍ وتأملات وإضاءات دعوية، مستشهدًا ببعض كلام العلماء والمفسرين، وحاولت جاهدًا أن أُنزل الآيات والدروس علىٰ واقع الدعاة اليوم حتىٰ تكون الفائدة أكثر، والدروس أقرب، والأثر أعظم، فأختار نبيًا منهم بحسب تسلسلهم التاريخي، ثم أذكر بعض الآيات التي وردت في شأنه معنونًا لها بجزء من الآية، ثمَّ أشرحها شرحًا مختصرًا مبينًا لمعناها العام معتمدًا علىٰ أشهر التفاسير الحديثة والقديمة[1]، مبتعدًا عن الأقوال والخلافات فيها غالبًا، وأذكر بعدها بعض الإضاءات الدعوية والفوائد والعبر التي تفيد الدعاة في واقعهم، وحرصت علىٰ أن تكون هذه الإضاءات

(١) اعتمدت علىٰ تفسير ابن كثير وتفسير السعدي رحمهما الله.

مختصرة حتىٰ لا أُطيل وأُخرج القارئ عن الهدف المنشود، والمقصد المأمول.

وقد يلحظ القارئ تكرار بعض الإضاءات في نفس الموضوع، وذلك بسبب تشابه المواقف والأخلاق والدروس بين الأنبياء، وحاولت أن لا أكرر قدر المستطاع، وإن تحدثت عن موقف أو خلق ما فإني أشير إليه إشارة سريعة عند مروره مرة أخرىٰ تجنبًا للتكرار.

وأخيرًا هذا جهد المقل، وعمل العبد الضعيف، وأردت بذلك إفادة نفسي المقصرة أولًا ثم إفادة إخواني الدعاة، ولعل مثل هذا العمل يكون مشاركة لي في طريق الدعوة والدعاة، وأُرحِّب بكل نقد بنَّاء، وملاحظة مفيدة، ونصيحة هادفة، ولا أنسىٰ أن أشكر كل من قدَّم لي نصيحة، أو ملاحظة، أو فائدة، وأخصّ من بينهم أخي ورفيق دربي الشيخ / عاصم بن عبدالله خان، فكان نِعم الرفيق والصَّديق والناصح فجزاهم الله خيرًا.

وأستغفر الله من كل خطأ وزلل وقصور في بيان سيرة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأنبياء، أو كلمة صدرت عني لا تليق بمقامهم دون قصد، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الدعاة والمسلمين في كل مكان وزمان، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

تم البدء في الكتاب في شهر رمضان من عام ١٤٤٠ هـ، والانتهاء منه في شهر رمضان من عام ١٤٤١ هـ ولله الحمد والمنَّة والفضل.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، الحمد لله رب العالمين.

كاتبه:
د. سامي بن بشير حافظ
Samie0555@hotmail.com

أولًا: نوح عليه السلام

١- لا أسألكم عليه مالًا.

٢- ولا أقول لكم عندي خزائن الله.

٣- إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم.

٤- إنا لنراك في ضلال مبين.

٥- يا قوم إني لكم نذير مبين.

٦- فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا.

٧- ثم إني دعوتهم جهارًا.

٨- فقلت استغفروا ربكم.

٩- ما لكم لا ترجون لله وقارًا.

١٠- رب اغفر لي ولوالدي.

١- لا أسألكم عليه مالًا

قال تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [هود: ٢٩].

نوح عليه السلام عندما دعا قومه لعبادة الله عز وجل ذكر لهم أنه لا يرجو من دعوته هذه أجرًا ولا مالًا، بل هو يريد الأجر والثواب من الله عز وجل، ثم كأنهم طلبوا منه إبعاد الفقراء من المؤمنين عنه وطردهم حتىٰ يجلسوا هم معه، فرد طلبهم ذلك، وبيَّن لهم أنَّ حساب هؤلاء الضعفاء علىٰ الله، ثم وجه خطابه لهم بأنهم قوم يجهلون؛ لأنهم لا يريدون الإيمان بالله، ويطلبون منه طرد المؤمنين الأتقياء.

من الإضاءات الدعوية:

١- وظيفة الداعية الدعوة إلىٰ الله، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، فهو لا يطلب من الناس أجرًا علىٰ دعوته، ولا يتطلع بذلك إلىٰ منصب أو جاه ومكانة، بل همُّه وهدفه من ذلك هو طلب الأجر من الله عز وجل، وإخراج الناس من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الظلمات إلىٰ النور، ومن الضلال إلىٰ الحق، ومن نور المعصية إلىٰ نور الطاعة.

٢- نوح عليه السلام نفىٰ عن نفسه بعض الاتهامات التي قد يُتَّهم بها الداعية غالبًا من إرادته للمال وطلبه للدنيا، لذلك قال لهم: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾، وفي آية أخرىٰ: ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾؛ لأن المدعوين قد يظنون أنَّ قيام الداعية بنصح الناس وتذكيرهم ووعظهم من أجل الحصول علىٰ المال أو غرض دنيوي.

٣- أكَّد الله عز وجل علىٰ هذا الموضوع وهو عدم طلب الأنبياء الأجر، وذكره عن أنبيائه مرات كثيرة، فذكر ذلك عن نوح عليه السلام كما ذكرنا وعن هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام كلهم قالوا لقومهم: ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾، وذكر عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام مثل ذلك في آيات كثيرة، وما ذاك إلا لأهمية الموضوع[1].

---

(١) سيأتي الحديث مستقلًا عن هذا الموضوع عند الحديث عن حبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام وذلك لكثرة الآيات التي ذكرها الله عنه.

٤- إنَّ المدعوين عندما يعلمون أنَّ الداعية لا يأخذ علىٰ دعوته مقابلًا من الناس فإنَّ ذلك يترك أثرًا أكبر عليهم من حيث قبولهم لدعوته، وذلك لعلمهم أنه لا يريد من ذلك إلا وجه الله تعالىٰ، ومصلحتهم والخير لهم.

٥- الأَولىٰ للداعية والأحوط له عدم قبول أي مال يبذل له من قِبل الآخرين، إلا ما حُدِّد له من قِبل الدولة أو الأوقاف إذا كان إمامًا أو خطيبًا أو مُعلِّمًا أو داعية، فإنَّ مثل ذلك لا بأس به كما ذكر العلماء.

٦- إنَّ طمع الداعية فيما عند الناس من مال وطلب جاه ومنصب يُشكِّكهم في صدقه ونيته، لذلك قال ﷺ: «ما بَعث الله نبيًا إلا ورعىٰ الغنم»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أرعاها علىٰ قراريط لأهل مكة»[1]، وكل ذلك ليستغني عن الناس ولا يطلبهم شيئًا.

٢- ولا أقول لكم عندي خزائن الله

قال الله عَزَّوَجَلَّ عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٢٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود: ٣١].

يخبر نوح عليه السلام قومه بأنه لا يملك خزائن الله من أموال وخيرات، فلا يملك إعطاءها لأحد ولا منعها عن أحد، ولا يدَّعي علم الغيب، وليس بملَك، بل هو نبي مرسل، ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ -أي تحتقرونهم يعني من الضعفاء والمساكين الذين ءامنوا بالله-: إن الله لن يعطيهم أجرًا، فالله هو أعلم بهم إن كانوا كافرين أو مؤمنين، وأعلم بما في نفوسهم وقلوبهم، فلو قال عنهم ما ليس فيهم فإنه من الظالمين المعتدين.

من الإضاءات الدعوية:

١- نوح عليه السلام النبي الرسول الداعية إلىٰ ربه أقر بكل سهولة وشجاعة أمام قومه بأنه لا يملك الكنوز، ولا يعلم الغيب، ولا يدَّعي أنه ملَك، ولا يحكم علىٰ أحد بجنة ولا نار.

٢- علىٰ الداعية أن لا يدَّعي ما ليس عنده سواء كان علمًا أو جاهًا أو مالًا من أجل أن يُبرز نفسه أمام الناس، ويرفع قدره ومنزلته لديهم، بل عليه أن يذكر ما عنده وينفي ما ليس

عنده، وكل ذلك لا يقلل من شأنه، بل يزيده رفعة ومنزلة عند ربه؛ لأنه من التواضع، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[(١)].

٣- من صفات الداعية أنه لا يدَّعي معرفة كل شيء ولو كان ذا علم وفقه وفهم، فعليه أن يتحدث بما يعلم، ويترك الحديث فيما لا يعلم، ولا يستنكف أو يستكبر أن يقول: «الله أعلم»، خاصة في بعض العلوم التي ليست من اختصاصه كالعلوم الدنيوية، فبعض الدعاة يخوض في كل علم ويتحدث فيه ولو كان لا يُحسنه، ظنًا منه أنَّ عدم الحديث في مثل ذلك يُعدُّ نقصًا لقدره ومكانته.

٤- الداعية لا يحكم علىٰ أحد، ولا يدخل في نوايا الآخرين؛ لأنَّ مثل ذلك يُعدُّ ظلمًا وتعدّيًا، ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾، والنية عمل قلبي لا يعلم به إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فقد يرىٰ الداعية غيره أفضل منه دعوة ونشرًا للخير، ويرىٰ إقبال الناس حوله وتقبلهم له، فيأتيه الشيطان

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حسدًا له، فيجعله يطعن في نيته وصحة عمله، وكذلك قد يقوم بعمل الخير من عرف بالشر والفساد، فيأتي البعض فيتهمه بأنه لم يُرد وجه الله بذلك، وأنه عُرف عنه كذا وكذا، فمثل ذلك لا يجوز، فالعاصي ولو عصىٰ ربه فهو مسلم، وقد يكون هذا العمل سببًا لدخوله الجنة.

٣- إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم

قال تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود: ٣٨].

نوح عليه السلام أمره ربه ببناء السفينة في الصحراء حتىٰ ينجو بها، فجعل قومه كلما مروا به استهزؤوا وسخروا منه لبنائه سفينة في صحراء ليس بها ماء، فأجابهم نوح عليه السلام بكل ثقة: إن تسخروا منا الآن فسوف نسخر منكم فيما بعد كما تسخرون منا.

من الإضاءات الدعوية:

١- الداعية معرَّض للسخرية من الآخرين، وقد يكون هذا هو الأصل في أهل الضلال والشر، وقد سخر كل قوم من

أنبيائهم، وعلىٰ رأسهم خير البرية والبشر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فقد يحزن الداعية علىٰ وقوع مثل ذلك، ولكن عليه أن لا يتراجع ويتكاسل، ويعلم أن حزنه مُثاب عليه، وأن قدوته في ذلك أنبياء الله، فالوعد عند الله، فالداعية الصادق يعلم موعود الله له ولو استهزأ به كل البشر، فسيسخر منهم في يوم يتضح فيه الحق من الباطل، ويعلو فيه الحق علىٰ الباطل، ويتميز أهل الإيمان عن أهل النفاق والعصيان، قال تعالىٰ في موضع آخر عن حال أهل الضلال مع أهل الإيمان:
﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٩- ١١١].

٤- إنا لنراك في ضلال مبين

قال الله عَزَّوَجَلَّ عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ [الأعراف: ٦٠، ٦١].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عندما قام نوح عليه السلام بدعوة قومه للإيمان أجابوه بقولهم: إنا لنراك في ضلال مبين، لم يقولوا: ضلال فقط، بل مبين أي واضح ظاهر لهم، وقد كذبوا في ذلك، فأجابهم عليه السلام بإجابة الرفيق الشفيق الحليم عليهم، فنفىٰ عن نفسه الضلالة، وبيَّن ووضَّح لهم حقيقته وهدفه ورسالته بأنه رسول من رب العالمين، فلم يعتدِ عليهم ويرد عليهم بمثل قولهم.

من الإضاءات الدعوية:

١- قال الله عز وجل عن هود مثل هذه المقولة وردَّ عليهم بمثل ردّ نوح عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأعراف: ٦٦- ٦٧]، فهذا هو خلق الأنبياء، قال ابن عطية رحمه الله: «وقوله لهم جوابًا عن هذا ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ مبالغة في حسن الأدب، والإعراض عن الجفاء منهم، وتناول رفيق، وسعة صدر حسبما يقتضيه خلق النبوة»(١).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي: ٢/ ٤١٥.

٢- قد يواجه الداعية عبارات شديدة اللهجة، واتهامات باطلة زائفة، فيُقال له: دعوتك هذه ضلال مبين، وسفاهة وجهل، وتخلف ورجعية، فالواجب الرد علىٰ مثل ذلك بلطف ولين، وأدب ورفق، وعدم تعَدٍّ وتجَنٍّ، والاكتفاء بنفي الاتهام عنه، فهم جهلة سفهاء، وهو ذو علم ودين، وعلمه ودينه يمنعانه من الوقوع فيما وقعوا فيه من اتهامات وسباب، والداعية همُّه إيصال الحق للناس ولو تعرضوا لشخصه وذاته، فهو يريد ما عند الله من خير وثواب.

٣- علىٰ الداعية أن يوضح للناس هدفه ورسالته التي من أجلها دعا وتحدث ونصح ووجه، فهو لا يريد منهم مالًا ولا مصلحة ولا منفعة.

٤- يحتاج الداعية في مثل هذه المواقف إلىٰ الصبر والحلم علىٰ الجاهلين والسفهاء، وأن يحذر من الانتصار للنفس، لأن الانتصار للنفس يُخرج الدعوة من مسارها وإرادة وجه الله، فتصبح أمرًا شخصيًا للانتقام والرد والبحث عن حظوظ النفس.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- قد يقوم السفهاء والجاهلون بتغيير مسار النقاش من نقاش علمي إلىٰ نقاش شخصي هروبًا من الإجابة، لعدم قدرتهم علىٰ إقامة الحجة والرد العلمي ولرفضهم قبول الحق، فيستهزؤون، وربما وجَّهوا الاتهامات الباطلة للداعية وتعرضوا لشخصه، فعلىٰ الداعية أن لا يلتفت لمثل ذلك بل يمضي في تبليغ دعوته.

٥- يا قوم إني لكم نذير مبين

قال تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤﴾ [نوح: ٢-٤].

نوح عليه السلام عندما دعا قومه خاطبهم بقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾، فإنهم من قومه وعشيرته ولو كانوا كفارًا، ثم بيَّن لهم أنه نذير من عند الله، واضح النذارة يذكرهم وينذرهم، ومُبِين يُبيِّن لهم ما أمره الله به من عبادته وتوحيده وتقواه، وأمرهم بطاعته في ذلك، ثم بشرهم إن هم فعلوا ذلك فسيغفر لهم

ربهم ذنوبهم، ويُمتعهم في هذه الدنيا، ويدفع عنهم الهلاك إلىٰ أجل مقدَّر أي إلىٰ موتهم، فإنَّ أجل الله إذا جاء فإنه لا دافع له ولا مانع، فسيقع في وقته المحدد.

من الإضاءات الدعوية:

١- من وسائل الدعوة إلىٰ الله حسن الخطاب والرفق واللين عند المناداة، قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ مناداة بأسلوب يُظهر للمخاطب أنه منهم ويحب الخير لهم، فمثل ذلك يستثير مشاعرهم، ويحقق اطمئنانهم، ويكون أقرب لاستجابتهم، قال ابن تيمية رحمه الله في بداية السورة عند قوله تعالىٰ: ﴿أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾: «وعُدل عن أن يُقال له: «أنذر الناس» إلىٰ قوله: ﴿أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾ إلهابًا لنفس نوح؛ ليكون شديد الحرص علىٰ ما فيه نجاتهم من العذاب؛ فإنَّ فيهم أبناءه وقرابته وأحبته»[(١)].

٢- من حسن الخطاب مناداة الداعية للمدعو بقوله: «يا أخي»، «يا غالي»، «يا بنيَّ»، أو بكنيته كما قال النبي عليه

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٢٩/ ١٨٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصلاة والسلام لعتبة بن ربيعة وهو يحاوره -وكان كافرًا-: «يا أبا الوليد»(١)، ومن ذلك أن يخاطب الداعية المدعوين ويُذكِّرهم بطيب أصلهم، وحسن سيرتهم، وبفضائلهم وإنجازاتهم إن كانوا يستحقون ذلك.

٣- علىٰ الداعية أن يُبلِّغ دين الله بوضوح تام بلا لبس ولا غموض، وأن يوصل رسالته بلغة سلسة واضحة يفهمها المدعو، ومن الإيضاح والبيان في خطاب الداعية أن يتأنَّىٰ في كلامه ولا يسرع، ويكون كلامه فصلًا، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كان كلام رسول الله ﷺ كلامًا فصلًا يفهمه كل من يسمعه»(٢).

٤- من وسائل الدعوة البدء بالأهم فالأهم، فنوح بدأ بدعوتهم إلىٰ التوحيد: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾، وهذا هو حال جميع الأنبياء عليهم السلام، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

---

(١) أورده البيهقي في الاعتقاد (١/ ٢٦٧).

(٢) رواه أبو داود وصححه الألباني برقم (٢٠٩٧).

٥- من وسائل الدعوة بدء الدعوة بأسلوب الترغيب، قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، فبدأ بترغيبهم بالمغفرة لذنوبهم عند استجابتهم وإيمانهم بربهم، فأسلوب الترغيب محبب للنفس، سريع الأثر، قريب الإجابة، ولو بدأ بأسلوب الترهيب والتخويف فقد لا يلقىٰ استجابة ولا قبولًا، بل يجد نفورًا وإعراضًا إلا في بعض الحالات.

٦- فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا

قال تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ [نوح: ٥-٧].

يُخبر نوح ربه عز وجل أنه دعا قومه في كل وقت وزمان ليلًا ونهارًا، فلم تزدهم هذه الدعوة إلا نفورًا وبُعدًا عنه وعن الإيمان بالله، وكلما دعا قومه للإيمان بالله وطاعته لما فيه سبب لمغفرة الذنوب قابلوا ذلك كله بوضع أصابعهم في

www.alukah.net
شبكة الألوكة

آذانهم حتىٰ لا يسمعوا دعوته، وغَطَّوا وجوههم بثيابهم حتىٰ لا يروه، وأصَرُّوا واستمروا علىٰ ما هم عليه من الشرك والطغيان استكبارًا وعنادًا.

من الإضاءات الدعوية:

١- من صفات الداعية عدم اليأس والقنوط من دعوة الآخرين ولو طال الأمد وطال الطريق، ولقد لبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وبعد هذه المدة الطويلة والسنين الكثيرة لم يؤمن معه إلا قلة من الناس، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: ٤٠]، قيل: كانوا عشرة، وأكثر ما ذكر أنهم: ثمانون، وبعض الدعاة ربما دعا أهله أو أقرباءه مرة أو مرتين، فإن لم يرَ منهم استجابة أيِس منهم وتركهم، ولربما حكم علىٰ بعضهم فقال: هؤلاء ليس فيهم خير.

٢- من صفات الداعية رفع شكواه إلىٰ الله وطلب النصر منه سبحانه، فقد يجد الداعية رفضًا له وبغضًا لدعوته، وعدم استجابة له، واستهزاء وسخرية منه، فيرفع يديه إلىٰ مولاه الذي هو يدعو إليه، فيشكو له حاله، وما فُعل به.

٣- من صفات الداعية عدم مقابلة السيئة بالسيئة، فنوح عليه السلام عندما دعا قومه قابلوه بوضع الأصابع في الآذان وتغطيهم بالثياب حتىٰ لا يسمعوا شيئًا من الحق، ومثل هذه الصورة الاستفزازية، والفعل المعاند قد يجعل الداعية يغضب ويرد عليهم برد غليظ شديد، وقد يترك الدعوة محتجًا بأنه بلَّغ ما عليه وهم من رفضوا الدعوة، ولكنّ نوحا عليه السلام لم يفعل مثل ذلك، بل صبر عليهم واستمر في دعوتهم.

٤- من صفات بعض المدعوين العناد والكبر ورد الحق، مع علمهم أنه حق استكبارًا منهم، كما قال تعالىٰ عن فرعون: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

٧- ثم إني دعوتهم جهارًا

قال تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ [نوح: ٨، ٩].

يخبر نوح عليه السلام ربه بأنه دعا قومه جهارًا أمام الناس، ودعاهم علانية أي بكلام ظاهر وبصوت عالٍ، ثم دعاهم بالسِّر بينه وبينهم خفية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الإضاءات الدعوية:

١- قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان الجهر قد لا يشيع ولا ينشر في جماعاتهم، قال مشيرًا إلىٰ أنه أذاع ذلك، وأكد للإشارة إلىٰ ما فيه من الشِّدة فقال: ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ﴾ أي: أظهرت وأشعت وشهرت ليعلموا أنه الحق من ربهم»[(١)].

٢- من وسائل الدعوة تنوع الوسائل بحسب حال المدعو، فالناس تختلف قدراتهم وأحوالهم وبيئاتهم، كما أنه تختلف طبائعهم، فمنهم مَن إذا وُجِّهت الدعوة له جهرًا أمام الناس تأخذُه العزة والأَنَفة، فيردُّ الحق ولا يستجيب تكبرًا وغرورًا، أو خوفًا من معايرة أهله وعشيرته، فمثل هذا يُدعىٰ سرًّا، وهذا هو الأصل في الدعوة، قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان السِّر أجدر بمعرفة الضمائر، وأقرب إلىٰ الاستمالة، أتبعه - أي نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ - به فقال: ﴿وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ﴾ أي دعوت كل واحد منهم علىٰ انفراده ليكون أدعىٰ له وأجدر بقبوله النصيحة،

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٨/ ١٦٨.

وأدل علىٰ الإخلاص»[١]، ومنهم من توجَّه له الدعوة علانية إذا اقتضت الحكمة ذلك، كالمناظرة أمام الناس وكشف ضلال الضَّال، وفضحه، وبيان ضعف حجته، خاصة إذا كان ممن له أتباع وجمهور، وهذه الحالة تكون فيما إذا كانت الدعوة موجهة لشخص بعينه، وأما إذا كانت الدعوة عامة لجميع الناس فلا بأس أن يدعو الداعية وينصح ويوجه علانية، عن طريق الخطب والكلمات والمواعظ؛ لأن مثل ذلك عام لا يُخاطب به أحد بعينه.

٣- نوح عليه السلام استخدم جميع الوسائل الممكنة لدعوة قومه، الليل والنهار، الإسرار والعلانية، الجهر والخفاء، التكرار والتنوع، فعلىٰ الداعية استخدام جميع الوسائل التي يمكن من خلالها دعوة الآخرين، ومن فضل الله علينا ومنته أنَّ في هذا العصر الحديث تنوعت وسائل التواصل مع الآخرين بشكل كبير جدًا، ومن ذلك وسائل التواصل

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٨/ ١٦٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاجتماعي (سناب شات، فيسبوك، تويتر، واتس آب، تليجرام، وغيرها كثير) وكل فترة نسمع ببرامج جديدة، فالداعية الحريص يواكب الناس في وسائلهم - ما لم تكن محرمة - ويستثمر مثل هذه البرامج والوسائل في الدعوة إلىٰ الله ولا يكتفي بما تعوَّد عليه من وسائل تقليدية -مع أهميتها بلا شك-.

٨- فقلت استغفروا ربكم

قال تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

عندما دعا نوح عليه السلام قومه للإيمان بالله عز وجل رغبهم في الاستغفار، وبيَّن لهم أنَّ ربهم غفَّار كثير المغفرة لمن تاب وأناب، ثم بيَّن لهم أنَّ استغفارهم وتوبتهم سبب لنيل الخيرات الدنيوية، من إنزال المطر من السماء، ومدِّهم بالأموال والبنين، وتحصيل الجنان والبساتين والخيرات

والأنهار، وكل ذلك النعيم من أعظم ما يطلبه الإنسان ويرجوه في الدنيا.

من الإضاءات الدعوية:

١- من وسائل الدعوة إلىٰ الله الترغيب بنعيم الدنيا عند فعل الطاعات، حيث رغبهم نوح عليه السلام في الاستغفار والتوبة إلىٰ الله مقابل حصولهم علىٰ نعيم الدنيا من إنزال المطر، وكثرة المال والبنين، وكثرة الخيرات والبساتين، فالمدعو بطبيعته البشرية يحب ما في الدنيا من نعيم آجل حاضر، فالله عز وجل جعل مثل ذلك تحفيزًا للعباد حتىٰ يُقبِلوا عليه ويطيعوه ويعبدوه، قال الألوسي رحمه الله: «ولذلك وعدهم علىٰ الاستغفار بأمور هي أحب إليهم وأوقع في قلوبهم من الأمور الأخروية - أعني ما تضمنه يُرْسِلِ السَّماءَ إلخ - وأجبتهم لذلك لما جُبِلوا عليه من محبة الأمور الدنيوية، والنَّفس مُولعة بحب العاجل، قال قتادة: كانوا أهل حب للدنيا، فاستدعاهم إلىٰ الآخرة من الطريق التي يحبونها»[1].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي: ١٥/ ٨١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- إنَّ وجود التحفيز من قبل الدعاة للمدعوين من جوائز عينية ومالية في بعض مسابقات القرآن والسنة والعلم النافع وغيرها هي من باب حث الناس وتشجيعهم علىٰ الطاعات، وهو أمر مباح لا يقدح في الإخلاص، بل هو مما جاءت به الشريعة.

٩- ما لكم لا ترجون لله وقارا

قال تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٣-١٨].

بعد أن دعا نوح قومه بالترغيب انتقل إلىٰ الترهيب، فأخذ يُذكِّر قومه مُنكِرًا عليهم عدم تعظيمهم لله خالقهم ومولاهم المستحق للعبادة والطاعة، فهو الذي خلقهم أطوارًا مراحل في بطون أمهاتهم بداية من نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم طفل ثم رجل، ثم ذكَّرهم بما يرونه ويشاهدونه من خلق السموات السبع كل سماء فوق الأخرىٰ، وجعل القمر فيهن نورًا يستضاء به، والشمس سراجًا، وهو سبحانه الذي

خلق آدم من التراب وخلق ذريته من بعده من صلبه، ثم بعد ذلك يميتهم ويرجعهم إلىٰ الأرض مرة أخرىٰ، ثم يخرجهم منها عند البعث والنشور.

من الإضاءات الدعوية:

١- الداعية يبدأ دعوته بالترغيب والتحفيز، وقد ينتقل إلىٰ الترهيب والتحذير والتخويف، إذا لم يجد نتيجة ولا استجابة، قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «بدَّل خطابه مع قومه - أي نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ - من طريقة النصح والأمر إلىٰ طريقة التوبيخ بقوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾»[(١)].

٢- من وسائل الدعوة إلىٰ الله استعمال الاستفهام الإنكاري[(٢)] والتقريري[(٣)]، حيث قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَا لَكُمْ لَا

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٨/ ٢٣٣.

(٢) الاستفهام الإنكاري يدل علىٰ أن الأمر المستفهم عنه أمر مُنكَر، والذي يُنكره قد يكون الشرع أو العقل أو العرف، وقد يُراد به التوبيخ علىٰ أمر قد مضىٰ أو أمر قائم، وقد يكون إنكارًا للتكذيب.

(٣) الاستفهام التقريري هو أن تطلب من المخاطب أن يقر بما يُسأل عنه =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾؟ وقارًا أي تعظيمًا، فالاستفهام هنا للتوبيخ والإنكار عليهم، وأما الاستفهام التقريري فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾، وكل هذه الاستفهامات لا يُراد منها الجواب، بل المدعو سيُجيب نفسه بنفسه عليها، وتستخدم وسيلة الاستفهام بنوعيه إما لتوبيخ المدعو، أو لومه، أو إدانته، أو تقريره علىٰ أمر ما، ونحو ذلك.

٣- من وسائل الدعوة إلىٰ الله الإعجاز العلمي، فنوح عليه السلام قال لهم: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾، فالداعية يُذكِّر المدعوين بمراحل تكوينهم في بطون أمهاتهم ابتداء بالنطفة ثم العلقة ثم المضغة، وفي ذلك الزمن قد يعلمون بهذه الأطوار والمراحل علمًا ظاهريًا بما يبدو لهم، ولكن في هذا الوقت مع تقدم العلم بمراحل كبيرة وصل الإنسان إلىٰ مراحل في العلم لم يكن وصلها من قبل، من حيث

= نفيًا أو إثباتًا بدون رد، وتكتفي بطرح الاستفهام عليه، وذلك لأي غرض كان إما لإدانته أو لومه.

الأطوار التي يمر بها الجنين وما فيها من خفايا وأمور لا تظهر عيانًا للناظر، ومع تقدم الأجهزة والوسائل الحديثة أظهرت عجائب قدرة الله في خلقه وبديع صنعه، فاستخدام وسيلة الإعجاز العلمي الاستخدام الصحيح يصل بالمرء المدعو إلىٰ وجود خالق قادر عليم عالم جل وعلا هو من خلق هذا الخلق بهذا الشكل العجيب والصورة المتقنة، وبعث فيه الحياة والروح، فاستخدام الداعية للإعجاز العلمي في دعوة الكفار -وكذلك المؤمنين- وتذكيرهم بالخالق جل وعلا كفيل بأن يُؤمن الكافر ويُصدِّق، ويتعظ المؤمن ويعتبر ويزيد من إيمانه.

٤- من وسائل الدعوة إلىٰ الله الاستدلال بالآيات الكونية علىٰ توحيد الألوهية، فقال تعالىٰ عن نوح: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح: ١٥-١٧] فمن قدر علىٰ خلق الكون والكواكب والسموات والأرض

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بكبرها وعظيم خلقتها أليس هو أولىٰ بالعبادة من غيره؟ وهذه الوسيلة هي من الإقناع العقلي كذلك.

٥- من وسائل الدعوة إلىٰ الله تذكير الداعية للمدعو ببداية خلقته وقدرة الله علىٰ ذلك، حيث قال لهم: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾، فالعبد عندما يتفكر في مراحل تكوينه يعلم حقيقته وضعفه وأنَّ الله القوي القادر خلقه من نطفة وماء مهين فيعلم حينها أنَّ المستحق للعبادة هو الله وحده، وأنه مهما بلغ من قوة في منصب وذكاء ومال وقوىٰ مادية، فهو ضعيف جدًا أمام قوة الله وقدرته قال تعالىٰ: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ [النحل: ٤].

١٠ - رب اغفر لي ولوالدي

قال تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

دعا نوح عليه السلام ربه بالمغفرة لنفسه أولًا ثم لمن له حق

عليه وهما والداه، ولمن دخل بيته من المؤمنين والمؤمنات، ثم دعا علىٰ قومه بالهلاك والدمار بسبب ظلمهم لأنفسهم بالكفر والضلال.

من الإضاءات الدعوية:

١- من صفات الداعية الاعتراف بالذنب والتقصير، وطلب المغفرة من الله عَزَّوَجَلَّ، فنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد هذا الجهاد الطويل مئات السنين وهو يدعو إلىٰ ربه بشتىٰ الطرق والوسائل والأساليب، ويصبر ويتحمل الأذىٰ بشتىٰ أنواعه، ومع ذلك كله لم يغترّ أو يُعجب بنفسه، بل ختم ذلك كله باتهام نفسه بالتقصير، وطلب المغفرة والرحمة من ربه عَزَّوَجَلَّ.

٢- علىٰ الداعية أن يهتم بأقرب الناس إليه وهما والداه وأهل بيته من زوجة وأولاد، يهتم بهم بدعوتهم، وتوجيههم، وتذكيرهم، ونصحهم، والدعاء لهم بالهداية والمغفرة في كل وقت وحين، فقد يغفل الداعية عن دعوتهم بسبب انشغاله

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بدعوة الآخرين، والله ﷻ يقول لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤].

٣- من صفات الداعية حب الخير للغير، فيتذكر الآخرين في دعائه ولو بعُدت بينه وبينهم المسافات والبلدان، فإن سمع بكارثة وقعت في بلدة ما من حروب ومجاعات، فتجده يدعو لهم ويهتمّ ويغتمّ، ويدعو لمن لهم حقّ عليه من مشايخ وعلماء ومعلمين وخاصة من كان سببًا في تعليمه كتاب الله وحفظه، ويدعو لأقاربه وأصدقائه المقربين، ويستشعر قول النبي ﷺ: «من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثل»[(١)].

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٧٣٢.

ثانيًا: إبراهيم عليه السلام

١- ربنا تقبل منا.

٢- إن إبراهيم لحليم أوَّاب منيب.

٣- لمَ تعبد ما لا يسمع.

٤- إني قد جاءني من العلم.

٥- إني أخاف أن يمسَّك عذاب.

٦- لأرجمنَّك واهجرني مليًا.

٧- وأعتزلكم وما تدعون من دون الله.

٨- ربنا إنِّي أسكنت من ذريتي.

٩- يا بنيَّ إني أرىٰ في المنام.

١٠- فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون.

١ - ربنا تقبل منا

قال تعالىٰ عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام اختارهما الله من بين الخلائق أجمعين لأعظم عمل وهو بناء بيت الله الحرام، فعندما انتهوا من هذه المهمة العظيمة والمشرِّفة توجهوا إلىٰ ربهم عز وجل يسألانه القبول، فهو سبحانه السميع لدعائهم، العليم بحالهم.

من الإضاءات الدعوية:

١- الداعية بحاجة إلىٰ دعاء الله عز وجل بالقبول بعد كل عمل يقوم به صغر أو كبر، فالقبول قد لا يتحقق، فقد يشوب العملَ رياء، أو عجب، أو غرض من أغراض الدنيا، قال البقاعي رحمه الله: «(تقبل منا) أي: عاملنا بفضلك، ولا تردّه علينا؛ إشعارًا بالاعتراف بالتقصير؛ لحقارة العبد - وإن اجتهد - في جنب عظمة مولاه»[(١)].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ١/ ٢٤٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- علىٰ الداعية أن يستشعر أن ربه سميع لما يقوله ويدعو به، عليم بالجوارح، عليم بما تخفيه القلوب وتضمره من خير أو شر، عليم بنية العبد وقصده من عمله.

٢- إن إبراهيم لحليم أواه منيب

قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: ٧٤، ٧٥].

عندما جاءت الملائكة أضيافًا علىٰ إبراهيم عليه السلام، قدَّم لهم عجلًا سميناً ضيافة لهم وكرمًا منه، فلما رآهم لم يأكلوا منه خاف منهم وفزع، فعندما أخبروه بأنهم ملائكة من عند الله ارتاح وذهب عنه الرَّوع أي الخوف، ثم بشَّروه بغلام وهو إسحاق عليه السلام، وعندما علم أنهم أتوا لإهلاك قوم لوط أخذ يجادلهم في ذلك ويدافع عن لوط عليه السلام[1]، ويخبرهم بأنَّ في

(١) وهذا ورد في آية أخرىٰ قال تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ وذكر الطبري رحمه الله وغيره أن في هذه الآيات ورد أن لوطًا أخذ يجادل الملائكة في عدم إهلاك قوم لوط؛لأنه فيهم أناس مؤمنين، وهذا هو ظاهر الآية هنا.

القرية لوطًا فكيف يهلكونها، ثم أثنىٰ الله عليه بأنه حليم واسع الصدر يضبط غضبه، أوَّاه أي متضرع إلىٰ ربه، منيب رجَّاع إلىٰ الله تائب إليه.

من الإضاءات الدعوية:

١- الداعية بحاجة في دعوته إلىٰ الاتصاف بخلق الحلم وضبط النفس، وعدم الغضب، وسعة الصدر، فهو يحتاج إلىٰ ضبط النفس والحلم عند التعدي علىٰ شخصه والاستهزاء به وردِّ دعوته، وكذلك عند غيْرته عند انتهاك المحرمات التي تقع أمامه ويشاهدها، ويحلم علىٰ العاصي والجاهل، ويعلمهم ويوجههم بالتي هي أحسن وبالرفق واللين.

٢- الداعية بحاجة إلىٰ الحلم مع إخوانه الدعاة خاصة عند الاختلاف فيما بينهم في وجهات النظر والاجتهادات، والطرق والوسائل، وبعض المسائل الفقهية وغيرها.

٣- علىٰ الداعية أن يكون أوَّاهًا متضرعًا إلىٰ ربه، منيبًا إليه رجاعًا توابًا، فكلما وقع في خطأ وزلل رجع وتاب وأناب واستغفر، فهو لا يتعمَّد الذنب ولا يصر عليه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- يجب علىٰ الداعية أن يحب الخير للآخرين، ويدافع عنهم وعن الدعاة منهم وعن أعراضهم ويدفع التُّهم عنهم، ويُحسن الظنّ بهم ويعذرهم، فالجميع يسير في مركب واحد، يدعون إلىٰ الخالق عَزَّوَجَلَّ، ويرجون الثواب والأجر منه.

٥- من المؤسف والمحزن أن يكون خصم الداعية داعية مثله، فيصبح همه الأول والأخير الانتصار علىٰ الداعية الفلاني وإطاحته، واستفزازه، وتصيد أخطاءه وزلاته، بدلًا من الدفاع عنه والذب عن عرضه.

٣- لِمَ تعبد ما لا يسمع

قال تعالىٰ عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢].

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا أباه آزر إلىٰ الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، فاستخدم مع أبيه وسيلة من وسائل الدعوة وهي الإقناع العقلي، حيث أنكر عليه عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يملك ولا يغني شيئًا من دفع ضر أو جلب نفع كالأصنام من الحجارة.

من الإضاءات الدعوية:

١- علىٰ الداعية الرفق واللين في الخطاب مع المدعو، واختيار العبارات اللطيفة التي لا تؤذي الآخرين، وتدخل إلىٰ قلوبهم، فتؤثر فيهم، فإبراهيم عليه السلام مع أنَّ أباه كافر مشرك ناداه بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بعبارة جميلة لطيفة، قال ابن عاشور رحمه الله: «وافتتح إبراهيم خطابه أباه بندائه مع أنَّ الحضرة مغنية عن النِّداء قصدًا لإحضار سمعه وذهنه لتلقي ما سيُلقيه إليه،.. ثم قال: قال الجد الوزير: علِم إبراهيم أنَّ في طبع أهل الجهالة تحقيرهم للصغير كيفما بلغ حاله في الحذق وبخاصة الآباء مع أبنائهم، فتوجه إلىٰ أبيه بخطابه بوصف الأبوة إيماء إلىٰ أنه مخلص له النصيحة»[1]، وإذا كان هذا الخطاب مع الأب الكافر، فلا شك أن الأب المسلم العاصي أولىٰ منه بذلك.

٢- من وسائل الدعوة الإقناع العقلي، حيث إنَّ مثل هذه الوسيلة تجعل المدعو يرجع إلىٰ نفسه ويُعمل عقله

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٦/ ١١٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفكره، ويُفكِّر تفكيرًا صحيحًا يقتنع من خلاله بصحة ما دُعي إليه.

٣- وسيلة الإقناع العقلي استخدمها إبراهيم عليه السلام في عدة مواقف مع قومه، فاستخدمها مع أبيه كما في هذه الآيات، ومع قومه عند تكسيره للأصنام عندما قال لهم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء: ٦٣]، كذلك عندما قال لهم: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء: ٧٧-٨١]، وفي قصته مع من يعبدون الكواكب فقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام: ٧٨]، ومع النمرود في قصته في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

- الداعية قد يُثير بعض الشكوك ويطرحها أمام المدعو المعارض حتىٰ يبث الشك فيما يدعو إليه، فيجعله في حيرة

من أمره، وتفكر دائم، وتصادم مع عقله السليم، وقد تكون مثل هذه الوسيلة طريقًا لرجوعه وتوبته واتباعه للحق.

٤- إني قد جاءني من العلم

قال تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم: ٤٣].

يُخبر الله عز وجل أنَّ إبراهيم عليه السلام وهو يُحاور أباه أخبره بأنه قد جاءه شيء من العلم لم يصله ولم يعلم به، فلذلك يدعوه لاتباعه وأن يسلك الطريق المستقيم الصحيح.

من الإضاءات الدعوية:

١- إبراهيم عليه السلام تأدَّب مع أبيه وتواضع له، فلم يدَّعِ أنَّ عنده كل العلم بل قال له: ﴿قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾، أي عندك علم وعندي شيء من العلم لم يصلك، مع أنه عليه السلام أبو الأنبياء وأعلم الناس بربه، قال السعدي رحمه الله: «وفي هذا من لطف الخطاب ولينه، ما لا يخفىٰ، فإنه لم يقل: «يا أبت أنا عالم، وأنت جاهل «أو» ليس عندك من العلم شيء «وإنما أتىٰ بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علمًا، وأنَّ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الذي وصل إليَّ لم يصل إليك ولم يأتك»[١]، وقال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلم يسمِّ أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق»[٢].

٢- يجب علىٰ الداعية أن لا يدَّعي أنه يعلم كل شيء ولو كان عالمًا حقيقة، بل عليه أن يتواضع ويبين أنَّ عنده شيئا من العلم مما آتاه الله إياه، فالتواضع يرفع العبد، ويكتب له قبول الآخرين له.

٣- يجب أن يُعلم أنَّ الأب مهما بلغ علم ولده ومكانته فإنه يراه صغيرًا جاهلًا أمام عينيه، فلذا قد تأخذه العزة بالإثم، فلا يستجيب له، فوجب علىٰ الولد أن يتلطف معه بقدر الإمكان، وأن يعامله معاملة حسنة مختلفة عن الآخرين، وأن يكرر دعوته له، وأن يتواضع له ويلين جانبه، فحق الوالدين عظيم ولو كانوا مشركين.

٤- فُسوق الوالد أو كفره ليس مبررًا للغلظة والشدة معه في

---

(١) تيسير كلام الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٤٩٤.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي: ٧/ ١٠٠.

القول والفعل، بل أمر الله الولد أن يصاحبهما بالمعروف ولو بلغوا في الكفر غايته بالدعوة إليه، بل بمجاهدة الولد علىٰ ذلك، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان: ١٥].

٥- إني أخاف أن يمسَّك عذاب

قال تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [مريم: ٤٥].

عند دعوة إبراهيم لأبيه أخبره بخوفه عليه أن يمسَّه عذاب من الرحمن ثم يكون بعد ذلك للشيطان وليًا ونصيرًا، قال السعدي رحمه الله: «فتدرَّج الخليل عليه السلام بدعوة أبيه، بالأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه، وأنَّ ذلك موجب لاتباعك إياي، وأنك إن أطعتني، اهتديت إلىٰ صراط مستقيم، ثم نهاه عن عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضار، ثم حذره عقاب الله ونقمته إن أقام علىٰ حاله، وأنه يكون وليا للشيطان»[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٤٩٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الإضاءات الدعوية:

١- الداعية دعوته للآخرين هي من باب الشفقة والرحمة بهم ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾، فهو لا يرجو من دعوته إلا حب الخير للآخرين، وإنقاذَهم من دركات الشقاء ووحلِ المعاصي والآثام، إلىٰ درجات الجنان والطاعات والخيرات.

٢- إبراهيم عليه السلام تلطف مع والده، فحذَّره بلطف ولين، فقال له: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، ولم يقل له يدخلك النار، فعبَّر بقوله: ﴿يَمَسَّكَ﴾، ثم ختمها بقوله: ﴿عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ مع أنَّ صفة الرحمن لا تناسب العذاب، ولكن ذكرها هنا من باب تذكير والده بأنَّ الله رحمن رحيم يرحم عباده إذا رجعوا وتابوا وأنابوا إليه، وقد ذكر هذه الصفة قبل ذلك فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾.

٣- بعض الدعاة قد يكون مجتهدًا في دعوة الآخرين الأبعدين، ومقصرًا في دعوة الأقربين ومنهم الوالدان، وهما أحق بالدعوة والتوجيه والإرشاد والنصح، فحقهما عظيم،

ودعوتهما أعظم وأوجب، فهما من كانا السبب في خروج هذا الداعية إلىٰ الدنيا بعد الله وتربيته.

٤- علىٰ الداعية أن يكون رفيقًا مع والديه، مجتنبًا كل قول وفعل يظهر عليه علامات العقوق من رفع صوت، أو حدة بصر، أو رد بجفاء وغلظة، أو عدم استجابة لمطالبهما ما لم تكن إثمًا، فالداعية أولىٰ الناس بذلك كله مع والديه.

٥- أهمية تذكير المدعوين بصفات الله عَزَّوَجَلَّ، فالظالم والمعتدي والمستكبر يخوَّف ويُذكَّر باسم الله الجبار والمتكبر والكبير، وأما غيره ممن وقع في بعض الذنوب فيُذكَّر باسم الله الرحيم الرحمن الكريم التواب وهكذا.

٦- لأرجمنَّك واهجرني مليًا

قال تعالىٰ عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم: ٤٦، ٤٧].

عندما حاول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ دعوة أبيه للإيمان بالله كرر

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذلك معه بأساليب مختلفة، فكان رد أبيه عليه قويًا شديدًا، فهدَّده بالرجم بالحجارة إن لم يؤمن بآلهته وينته عما يدعو إليه، وأمره بالبعد عنه وهجره وعدم مقابلته، فكان رد إبراهيم عليه لطيفًا لينًا قال له: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾، أي لن تسمع مني ما يؤذيك، وأنت في سلام مني ومن قولي وفعلي، ثم وعده بأن يستغفر له ربه لعله يغفر له؛ لأن ربه كان به محتفيًا معتنيًا به.

من الإضاءات الدعوية:

١- من صفات الداعية الصبر علىٰ التهديدات والأذىٰ، وتحمل المشاق التي تناله من قبل المدعوين وخاصة إذا كان المدعو أحد الوالدين، فالصبر في حقهما آكد وأوجب من غيرهما، فطريق الدعوة محفوف بالمخاطر، والصبر علىٰ ذلك واجب محتم.

٢- قد يرفق الداعية بالمدعو، ويخاطبه بأجمل الخطابات والعبارات، ومع ذلك قد لا يجد منه استجابة وردًا حسنًا، بل يجد عنادًا واستكبارًا وردًا غليظًا شديدًا.

٣- من صفات الداعية عدم مقابلة السيئة بالسيئة بل يرد

بالحسنىٰ، فما أجمل أن يكون الرد علىٰ السوء والتهديد برد لطيف جميل، فالداعية مهما تعرض لمثل ذلك فهو يحتسب الأجر عند ربه، فلا يرد السوء بالسوء، ولا القول القبيح بالقبيح، بل يصبر علىٰ ذلك ويرد القبيح بالحسن، فقد قال إبراهيم عليه السلام -ردًا علىٰ قول أبيه-: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾، ليس هذا فقط بل دعا له فقال: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾، فيصبر الداعية ويُحسن لمن آذاه بالدعاء له بالتوبة والمغفرة ولو سمع منه ما سمع؛ لأنه فعل ذلك من أجل ربه والدعوة إليه.

٤- الداعية يتذكر عند دعوته نعم الله عليه التي لا تعد ولا تحصىٰ، ومنها نعمة الهداية والاستقامة والتوفيق للخير وجعلِه داعيًا إلىٰ ربه، فإبراهيم عليه السلام قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ أي الله عز وجل.

٧- وأعتزلكم وما تدعون من دون الله

قال تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: ٤٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عندما علم إبراهيم عليه السلام برفض والده وقومه له ولدعوته، قام فاعتزلهم وتركهم وما هم عليه من عبادة الأصنام والأوثان، وبيَّن لهم أنه سيدعو ربه متوجهًا إليه عسىٰ أن يسعده ربه بقبول دعائه وعمله.

من الإضاءات الدعوية:

١- الداعية قد يعتزل مجتمعه أو قومه في بعض الحالات، ومن ذلك عندما يستنفد جميع الوسائل الدعوية الممكنة، وقد يخشىٰ علىٰ نفسه من الإيذاء الشديد الذي لا يُحتمل، أو يخشىٰ التأثر بهم عند مخالطتهم، فالفرار بالدِّين والاعتزال قد يكون هو الحل خاصة في زمن الفتن التي يخشىٰ منها، وقد ورد في الحديث قال ﷺ: «**يأتي علىٰ الناس زمان تكون الغنم فيه خير مال المسلم يتبع بها شَعَف الجبال أو سَعف الجبال[١] في مواقع القطر يفرُّ بدينه من الفتن**»[٢]، وذلك في زمن شدة الفتن.

---

(١) المراد رؤوس الجبال.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٦٠٠).

٢- مع الاعتزال والبعد عمن طردوه وآذوه لا يزال قلب الداعية معلقًا بربه بدعائه والتوجه إليه بأن يثبته أولًا، ويطلب من الله الهداية لمن اعتزلهم من قومه وعشيرته.

٣- على الداعية إذا اعتزل قومه أن ينشغل بطاعة ربه وعبادته، وأن يتوجه إليه ويدعوه ويلتجئ إليه ويوكل أمره إليه، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه وظيفة من أيس ممن دعاهم، فاتبعوا أهواءهم، فلم تنجع فيهم المواعظ، فأصروا في طغيانهم يعمهون، أن يشتغل بإصلاح نفسه، ويرجو القبول من ربه، ويعتزل الشر وأهله»[(١)].

٨- ربنَّا إني أسكنت من ذريتي

يقول تعالىٰ عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٤٩٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عندما أمر الله إبراهيم عليه السلام بترك زوجته هاجر وابنه إسماعيل عليه السلام في مكة، كانت حينئذ صحراء قاحلة لا زرع فيها ولا ماء، ولا أحد من البشر، ثم عندما تركهما نادته زوجته فقالت: «آ الله الذي أمرك بهذا؟» قال لها: «نعم»، قالت: «إذا لا يُضيعنا»(١)، ثم دعا لهما بهذه الدعوات المباركات، بدأها بالدعاء لهما بإقامة الصلاة، ودعا بأن يفد إليها الناس فيحبونها أي مكة، ويحبون أهلها زوجته وولده، ثم دعا لهم بأن يجلب الله إليهم الرزق من الثمرات لأن مكة غير صالحة للزراعة، فاستجاب الله دعاءه، فوفد إليها الناس من كل فج ومكان، وأصبحت تُجبىٰ إليها الثمرات من بقاع الأرض صيفًا وشتاء.

من الإضاءات الدعوية:

١- يُلاحظ في آيات كثيرة كثرة دعاء إبراهيم عليه السلام لنفسه ولأهله ولذريته، وابتدائه الدعاء بقوله: «رب» أو «ربنا»، ومن ذلك هذه الآية السابقة، ومنها دعاؤه لنفسه فيما حكاه الله عنه:

---

(١) أخرجه البخاري: برقم (٣٣٦٤).

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: ١٠٠]، ودعاؤه لنفسه ولابنه ولذريتهما: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧]، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: ١٢٨]، ودعاؤه لنفسه ولوالديه وللمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾. ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠-٤١]، ولذريته: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٩]، بل كثيرًا من أدعية الأنبياء ابتدأت بالدعاء بهذا الاسم العظيم، ولعل السبب في ذلك؛ لأن معنىٰ الرَّب المربِّي، فهو يُربي عباده الصالحون، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسر ذلك أنَّ الله تعالىٰ يُسأل بربوبيته المتضمنة قدرته وإحسانه وتربيته عبده وإصلاح أمره..»[(١)].

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم: (٢/ ١٩٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- أهمية اعتماد الداعية علىٰ ربه وتوكله عليه، وتضرعه، وتوجهه إليه في دعائه، وتوسله بأسمائه وصفاته، وابتداء الدعاء باعترافه بربوبية ربه عَزَّوَجَلَّ.

٣- اهتمام الداعية بأقرب الناس إليه وهم أهله من والديه وزوجته وبنيه، بالدعاء لهم في صلاته وسجوده وأوقات الإجابة، والإكثار من ذلك، فالدعاء من أعظم الأدوية النافعة الشافية.

٤- يستحب للداعية أن يدعو بهذه الأدعية المباركة أدعية القرآن التي وردت عن لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن يُعلِّمها للناس لينتفعوا بها ويدعون بها ربهم، فأدعية الكتاب والسنة أولىٰ من غيرهما وأفضل، وقد نجد بعض الأئمة في دعاء القنوت في صلاة التراويح يدعون بشتىٰ أنواع الأدعية التي لم ترد في الكتاب والسنة وهذا أمر جائز لا بأس به، ولكنهم يغفلون عن الأفضل وهي الأدعية التي وردت علىٰ ألسنة الأنبياء، وعلىٰ لسان نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٩ - يا بني إني أرى في المنام

قال تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢].

عندما بلغ إسماعيل عليه السلام السعي -أي كبر وشبَّ- وأصبح يمشي مع أبيه رأىٰ أبوه إبراهيم رؤيا في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، ورؤيا الأنبياء حق ووحي، فأخبر ابنه بذلك، فوجده مستجيبًا لأمر ربه صابرًا محتسبًا مطيعًا لوالده.

من الإضاءات الدعوية:

١- إبراهيم عليه السلام نجح في الاختبار والبلاء الذي نزل عليه من الله، فكان صابرًا مستجيبًا لأمر الله، مع أنَّ إسماعيل هو ابنه الوحيد، ومع ذلك قدَّم أمر الله علىٰ حبه لابنه الصغير الوحيد، قال ابن عاشور رحمه الله: «والمقصود من هذا الابتلاء إظهار عزمه وإثبات علو مرتبته في طاعة ربه، فإنَّ الولد عزيز

www.alukah.net
شبكة الألوكة

علىٰ نفس الوالد، والولد الوحيد الذي هو أمل الوالد في مستقبله أشد عزة علىٰ نفسه لا محالة، وقد علمت أنه سأل ولدًا ليرثه نسله ولا يرثه مواليه، فبعد أن أقرّ الله عينه بإجابة سُؤله وترعرع ولده، أمره بأن يذبحه فينعدم نسله ويخيب أمله ويزول أنسه، ويتولىٰ بيده إعدام أحب النفوس إليه، وذلك أعظم الابتلاء، فقابل أمر ربه بالامتثال، وحصلت حكمة الله من ابتلائه، وهذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾»[1].

٢- من صفات الداعية الاستجابة لأمر الله بدون تردد ولا تحير ولا تحايل، يقول تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فقد يبحث بعض الدعاة لنفسه ما يبرر له وقوعه في الذنب ورفضه تطبيق أمر الله، فتجده يأتي بقول فلان وفلان من العلماء، ليس بحثًا عن الحق، بل تبريرًا وتمريرًا لقوله المخالف.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٢٣/ ١٥٠.

٣- من صفات الداعية تقديم أمر الله ومحبته وطاعته علىٰ محبة الزوجة والأولاد وغيرهما، فقد يُمتحن الداعية بزوجة أو أولاد يطلبون منه أمورًا مخالفة لشرع الله، فلحبه إياهم قد يُلبي رغباتهم وشهواتهم، فيقع في معصية الله عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]، ونحن في زمن كثرت فيه المغريات والشهوات، وأصبح الأولاد بنين وبنات وزوجات يرون ما يفعله الكثير من معاصٍ ومحرمات، فالنفس تشتهي، والشيطان يدعو ويزين، والزوج هو المسؤول بين أن يرفض ويقدم أمر ربه أو يقبل فيقع في المحظور.

٤- إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عرض علىٰ ابنه الأمر، وأخبره بأمر الله بذبحه، فهو لم يأخذه علىٰ حين غرَّة وغفلة، بل أخبره بكل وضوح، ولم يُرِد استشارته في تنفيذ أمر الله، بل أراد أن يسمع

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من ابنه استجابته لأمر الله حتىٰ يكون طائعًا مثله مستسلمًا لأمر ربه، وابنه لم يوافق فقط بل سلم أمره لله في رضا ويقين، واستعان بربه في ذلك وطلب منه العون والصبر قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾، قال ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن قيل: لمَ شاوره في أمر هو حتم من الله؟ فالجواب: أنه لم يُشاوره ليرجع إلىٰ رأيه، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطِّن نفسه علىٰ الصبر، فأجابه بأحسن جواب»[1].

٥- علىٰ الداعية أن يُربي أبناءه علىٰ طاعة الله وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، والاستجابة لأمرهما مهما كان، والحذر من الزيغ والضلال ورفض قبول الحق، فإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أنموذجًا للابن البار الصالح المستجيب لأمر ربه، المطيع لأمر والده.

١٠- فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون

قال تعالىٰ عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: ٢/ ٢٣٨.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣١، ١٣٢].

أمر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالاستسلام له، والطاعة، وامتثال أمره، وإخلاص العمل له، فاستجاب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأمر ربه، ثم وصىٰ بها بنيه من بعده إسماعيل وإسحاق وابن ابنه يعقوب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فوصاهم بأن يتمسكوا بهذا الدِّين وبشريعة الإسلام إلىٰ أن يأتيهم الموت وهم علىٰ ذلك.

من الإضاءات الدعوية:

١- إذا كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ خليل الرحمن وصىٰ أبناءه مع أنهم كلهم أنبياء بأعظم وصية وهي التمسك بالتوحيد والموت علىٰ الإسلام، فكيف بغيره؟ قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ إيجاز بليغ، وذلك أنَّ المقصود منه أمرهم بالإسلام والدوام عليه، فأتىٰ ذلك بلفظ موجز يقتضي المقصود ويتضمن وعظًا وتذكيرًا بالموت، وذلك أنَّ المرء يتحقق أنه يموت ولا يدري متىٰ؟ فإذا أُمر بأمر لا يأتيه الموت إلا وهو عليه»[(١)].

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية: ١/ ٢١٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- من صفات الداعية الحرص علىٰ غيره، وحب الخير لهم، والوصية إليهم بالتمسك بالحق حتىٰ الممات، وأولىٰ الناس بذلك كله أهل بيته من زوجات وأولاد، قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما كان من شأن أهل الحق والحكمة أن يكونوا حريصين علىٰ صلاح أنفسهم وصلاح أمتهم كان من مكمِّلات ذلك أن يحرصوا علىٰ دوام الحق في الناس متَّبعًا مشهورًا، فكان من سننهم التوصية لمن يظنونهم خلفًا عنهم في الناس بأن لا يحيدوا عن طريق الحق ولا يفرِّطوا فيما حصل لهم منه، فإنَّ حصوله بمجاهدة نفوس ومرور أزمان، فكان لذلك أمرًا نفيسًا يجدر أن يحتفظ به»[(١)].

٣- الوصية غالبًا لا تكون إلا في أمر مهم، لذا وصىٰ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بنيه ويعقوب بأمر عظيم ومهم، وهو التمسك بالإسلام حتىٰ الممات، قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإيصاء أمر أو نهي يتعلق بصلاح المخاطب خصوصًا أو عمومًا، وفي فوته ضر، فالوصية أبلغ من مطلق أمر ونهي، فلا تطلق إلا في

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١/ ٧٢٧.

حيث يخاف الفوات، إما بالنسبة للمُوصي، ولذلك كثر الإيصاء عند توقع الموت»[١].

٤- علىٰ الداعية الاهتمام بموضوع التوحيد وما يتعلق به، ودعوة الناس إليه، والتمسك به، وخاصة أهل بيته، وتزداد الحاجة إلىٰ التذكير به كلما ابتعد الناس عنه[٢]، وفُتنوا بالشبهات والشهوات، والاغترار بالكفار، ووقعوا فيما يناقضه من شركيات وبدعيات مخرجة عن الإسلام.

٥- دعا إبراهيم عليه السلام ربه في آية أخرىٰ بأن يجنبه عبادة الأصنام هو وبنوه الأنبياء عليهم السلام، فقال تعالىٰ علىٰ لسانه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥] فإذا كان إبراهيم عليه السلام يخاف علىٰ نفسه من ذلك، فمن يأمن البلاء بعده؟، لذلك يجب علىٰ الدعاة أن يُحذِّروا الناس من عبادة غير الله إما بدعائهم والاستغاثة بهم وطلب الحوائج منهم، أو طلب شفاء ومال وولد وغيره، سواء كان المدعو نبيًا مرسلًا،

---

(١) المرجع الصادر.

(٢) وفي هذه الأزمنة تزداد الحاجة إلىٰ ذلك بسبب ظهور ظاهرة الإلحاد والتنصير، فسمعنا من تنصر وألحد من شباب الأمة الإسلامية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أو وليًا صالحًا، فكل ذلك شرك بالله كما أخبر الله ﷻ[(١)]، وإن الاهتمام بذلك هو من أوجب الواجبات وأعظمها، فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٦- على الداعية أن يخشى على نفسه من الوقوع في الشرك، وأن يدعو ربه دائمًا أن يُثبِّته على الإسلام ويُميته عليه، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلِّبها كيف يشاء، وعليه أن يحذر من العُجب بنفسه، وقد يُحدِّث نفسه أنه داعية صالح مؤمن لايمكن أن يقع في مثل ذلك، وقد كان من دعاء يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: ١٠١].

(١) فدعاء غير الله من الأنبياء والصالحين والأولياء والاستغاثة بهم وطلب الحوائج منهم شرك بالله، وقد ذكر الله ﷻ حكم ذلك جليًا واضحًا في سورة فاطر آيات ١٣-١٥ فتراجع لأهميتها، وذلك لكثرة وقوع ذلك في كثير من البلدان الإسلامية والله المستعان.

ثالثا : يوسف عليه السلام

١- وكذلك نجزي المحسنين.

٢- معاذ الله.

٣- ولقد همَّت به.

٤- واستبقا الباب.

٥- وإلا تصرف عنِّي كيدهنَّ.

٦- إنا نراك من المحسنين.

٧- إلا نبأتكما بتأويله.

٨- أأرباب متفرقون خير.

٩- اذكرني عند ربك.

١٠- يوسف أيها الصديق.

١١- ارجع إلىٰ ربك.

١٢- اجعلني علىٰ خزائن الأرض.

١٣- فأسرَّها يوسف.

١٤- قد منَّ الله علينا.

١٥- لا تثريب عليكم اليوم.

١٦- ورفع أبويه علىٰ العرش.

١٧- توفَّني مسلمًا.

١- وكذلك نجزي المحسنين

قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف: ٢٢].

يخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنه لما بلغ يوسف عليه السلام كمال قوته الحسية والمعنوية أعطاه ربه النبوة والرسالة والعلم، وهذا جزاء المحسن مع ربه في عبادته، والمحسن مع خلقه في مساعدتهم والإحسان إليهم.

من الإضاءات الدعوية:

١- قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي ذكر المحسنين إيماء إلىٰ أنَّ إحسانه هو سبب جزائه بتلك النعمة»[(١)]، وقال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ألفاظ فيها وعد للنبي ﷺ، فلا يهولنّك فعل الكفرة بك، وعتوَّهم عليك، فالله تعالىٰ يصنع للمحسنين أجمل صنع»[(٢)]، إنَّ خلق الإحسان صفة بارزة وظاهرة في قصة يوسف عليه السلام، بداية من إحسانه مع ربه مراقبة له وخشية وخوفًا منه، ومن ذلك عندما عرضت له امرأة العزيز

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٢/ ٢٤٨.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية: ٣/ ٢٣٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نفسها فأبىٰ وقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾، والإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فالله عَزَّوَجَلَّ مدحه بهذا الخلق الجليل فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، والفتيان اللذان كانا معه في السجن شاهدا هذا الخلق فيه فقالا: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وإخوته عندما قابلوه شاهدوا بأم أعينهم إحسانه فقالوا: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وفي ختام الآيات اعترف يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بمنَّة الله عليه بهذا الخلق فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

٢- معاذ الله

قال تعالىٰ: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: ٢٣].

أنعم الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بجمال عظيم، وكما ورد في حديث الإسراء والمعراج أنَّ النبي ﷺ قال: «**فإذا أنا بيوسف ﷺ، إذا هو قد أُعطي شطر الحسن**»(١)، وكان غلامًا

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٩).

في بيت العزيز وامرأته، وعندما رأت هذه المرأة جمال يوسف عليه السلام فُتنت به، فطلبته لنفسها وكانت جازمة عازمة في ذلك، فغلَّقت الأبواب ونادته، فرفض يوسف عليه السلام ذلك قائلًا لها: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ أن أفعل مثل هذا الفعل المنكر، فإنه سيِّدي قد أحسن تربيتي في بيته، أي زوجها[1]، ثم أخبرها بأنه لن يفلح الظالمون المعتدون.

من الإضاءات الدعوية:

١- هذه الفتنة التي تعرَّض لها يوسف عليه السلام من أعظم المحن التي مرَّت عليه، قال السعدي رحمه الله: «هذه المحنة العظيمة أعظم علىٰ يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجرًا، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدَّم محبة الله عليها، وأمَّا محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعًا أو

(١) وقال بعضهم قد من قوله: ﴿رَبِّيٓ أَحۡسَنَ﴾ أي ربه الله عز وجل، وقال آخرون يقصد بذلك زوجها لأنه سيده، والرب يطلق علىٰ السيد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كارهًا»[(١)]، وقد وُجدت الدواعي الكثيرة للفتنة بالمرأة من جمالها ومكانتها وهي الطالبة له، وعنفوان شبابه وغربته وضعفه.

٢- المراودة الشيطانية قد تأتي الداعية بصور كثيرة ومختلفة، مراودة في صورة مال أو امرأة أو منصب أو منكر عظيم، وشياطين الإنس لن يتركوك أيها الداعية وشأنك وصلاحك، بل سيحاولوا ويكرروا فتنتهم عليك.

٣- قد يتعرض الداعية للفتنة، إما فتنة المال أو المنصب أو فتنة النساء وهي أعظمها وأخطرها، فعليه أن يصون نفسه عن مثل ذلك، ويبتعد ويلتجئ إلىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ مستعينًا به طالبًا منه العون والسداد، وأن لا يتساهل مع النساء خاصة، وأن يتعامل معهنَّ بحذر وبقدر الحاجة والضرورة، ولا يأمن علىٰ نفسه الفتنة، فالبعض قد زلَّ وفُتن بسببهن، وقد حذر النبي ﷺ من فتنتهن فقال: «ما تركت بعدي فتنة أضرَّ علىٰ الرجال من النساء»[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٣٩٦.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٩٦).

٤- الداعية بحاجة إلىٰ أن يقول: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾[١] عند تعرضه لأي فتنة صغرت أم كبرت، فقد تُعرض له الفتنة وتُسهَّل له وتُقدَّم إليه، فيتذكر نعمة الله عليه وما أنعم عليه من إيمان وتقوىٰ، ودعوة وعلم، فيُقدِّم أمر ربه علىٰ أمر نفسه وهواها.

٥- علىٰ الداعية أن يستشعر ويتذكر دائمًا قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، فالظالم العاصي المعتدي سيعاقبه الله بحسب جريمته ومعصيته، فالداعية أولىٰ الناس بالبعد عن الظلم بمختلف صوره وأشكاله، سواء ظلمه لنفسه، أو ظلمه للآخرين.

٣- ولقد همَّت به

يقول تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤].

---

(١) هناك معنىٰ آخر ذكره العلماء وهو أن المقصود في «ربي» في هذه الآية هو الله عَزَّوَجَلَّ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

همَّتِ امرأة العزيز بيوسف عليه السلام همَّ طلب وإرادة إلىٰ نفسها صراحة وحاولت معه، وهمَّ هو كذلك بها ولكن همَّ خطرات النفس، وقد منعه من ذلك ما معه من برهان من إيمان وعلم موجب لترك ما حرم الله، ومنه هذه المعصية العظيمة، لذلك هرب وتركها، ثم بيَّن الله عز وجل أنه كما أراه البرهان الذي صرفه عما كان فيه، كذلك يقيه الله السوء والفحشاء في جميع أموره، فهو من المخلصين المصطفين الأخيار، قال السعدي رحمه الله: «والحاصل أنه جعل الموانع له من هذا الفعل تقوىٰ الله، ومراعاة حقّ سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك ما منَّ الله عليه من برهان الإيمان الذي في قلبه، يقتضي منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر، والجامع لذلك كله أنَّ الله صرف عنه السُّوء والفحشاء»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٣٩٦.

من الإضاءات الدعوية:

١- الهمّ الذي يخطر بقلب العبد مِن همّ معصية وشهوة هو همّ طبيعي بشري، لا يقدح في إيمانه ولا في تقواه، ولكن منهم من يستجيب له فيصبح بعد الهمّ عزيمة وإرادة وعملًا فيعاقب علىٰ ذلك، ومنهم من يصرفه وينتهي عنه وهذا هو فعل المؤمن.

٢- مما يدفع عن الداعية الهمّ بالمعصية والوقوع فيها خوفه من ربه وتزوده بالعلم والإيمان، فالإيمان والعلم سلاحان يدفعان عن العبد كل شهوة وشبهة، فكلما زاد إيمانه وعلمه زاد بعده عن المعصية، وكانا سببًا في حفظه وعصمته من الوقوع فيما حرم الله عَزَّوَجَلَّ.

٤- واستبقا الباب

قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [يوسف: ٢٥].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لما امتنع يوسف عليه السلام من طلب امرأة العزيز بعد مراودتها له، توجَّه للباب مسرعًا هربًا منها، فقامت وتعلَّقت بقميصه من الخلف منعًا له من الهروب، فشقَّت قميصه، وعندما وصلا إلىٰ الباب وجدت زوجها، فبادرت إلىٰ الكذب واتهمت يوسف بأنه هو من راودها عن نفسه وأنَّ جزاءه السجن أو العذاب الأليم.

من الإضاءات الدعوية:

١- يجب علىٰ الداعية عند وقوعه في أي فتنة الهرب والابتعاد، وعدم الاستسلام لذلك، فيوسف عليه السلام حاول الهرب بسرعة فرارًا من ذلك.

٢- ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ ثم ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ فلا ينفع الداعية أن يستعيذ بربه ويقف مستسلمًا للفتنة دون حراك ولا دفاع، بل عليه أن يلتجيء إلىٰ ربه ويبذل السبب.

٣- ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ فرق بين الاستباقين، فاستباق يوسف عليه السلام كان طاعة لله وهربًا من المعصية، واستباقها كان طاعة للشيطان وطلبًا للمعصية.

٤- علىٰ الداعية أن يتنبَّه فالمتبرصين به من أعداء الدِّين يحاولون إسقاطه بشتىٰ الوسائل في وحلهم وشراكهم، فعليه أن يكون حذرًا فطنًا، خاصة في وسائل الإعلام واللقاءات العامة، وكما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لستُ بالخِب، ولا الخِب يخدعني».

٥- ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ سبحان الله !! أرسل الله الشاهد من أهلها ليقف مع المظلوم ضدها ويُبرأه من التُّهمة، فلا تقلق أيها المظلوم، فالله عَزَّوَجَلَّ قد يرسل إليك الخير وأدلة البراءة من حيث لا تشعر ولا تعلم، بل يجعل أقرباء خصومك يشهدون معك.

٦- قد يُظهر المجرم نفسه بالبراءة مما وقع منه، ويتَّهم الآخرين الأبرياء بذلك، كما قال تعالىٰ عن فرعون لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: ٢٦].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- وإلا تصرف عني كيدهنَّ

قال تعالىٰ عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٣، ٣٤].

عندما قامت امرأة العزيز بدعوة النساء لرؤية يوسف عليه السلام وقطعن أيديهنّ من شدة جماله وهول ما رأينه أخبرتهنَّ بأنها دعته إلىٰ نفسها فأبىٰ ورفض، ثم كررت دعوته مرة أخرىٰ وهدَّدته بالسجن أمامهنَّ، فقال في موقف الشجاع القوي: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ﴾ من فاحشة ومعصية، ثم بيَّن حاله وعجزه ونفسه الضعيفة، فقال لربه ودعاه: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي فسأميل إليهنَّ ثم أكون من الجاهلين، فاستجاب له ربه بعد ذلك لأنه هو السميع الذي يسمع دعاء عبده، والعليم بحاله وبنيته الصالحة.

من الإضاءات الدعوية:

١- قد يختار الداعية العقوبة الدنيوية مقابل عدم معصيته لربه وخضوعه للعصاة من البشر، وهذه منزلة عالية لا يصلها إلا الخُلَّص من البشر ممن عرفوا قيمة الحياة الدنيا، وأنَّ ما عند الله خير وأبقىٰ، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي قول يوسف:... عبرتان: إحداهما: اختيار السجن والبلاء علىٰ الذنوب والمعاصي، الثانية: طلب سؤال الله ودعائه أن يُثبِّت القلب علىٰ دينه ويصرفه إلىٰ طاعته وإلا فإذا لم يثبت القلب صبا إلىٰ الآمرين بالذنوب وصار من الجاهلين، ففي هذا توكل علىٰ الله واستعانة به أن يثبت القلب علىٰ الإيمان والطاعة، وفيه صبر علىٰ المحنة والبلاء والأذىٰ الحاصل إذا ثبت علىٰ الإيمان والطاعة»[(١)].

٢- الابتلاءات والمصائب ظاهرها نقمة وشر، ولكن قد يكون في باطنها نعمة وخير، قال تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فمن النِّعم التي تكون في المصائب: الرفعة في

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية: ١٥/ ١٣٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدرجات، والزيادة في الحسنات، والتكفير للخطيئات، والتعرف علىٰ نعم الله، وترك الذنوب والخطيئات، وكثرة الالتجاء والدعوات، وقد يكون العبد بعيدًا عن ربه فيقترب، وقد يكون غافلًا فيستيقظ، وقد يكون ضائعًا تائهًا فيعرف طريق النجاة ويسلكها.

٣- الداعية مهما بلغ من قوة إيمان بالله وعلم فهو ضعيف أمام فتن الدنيا وشهواتها وخاصة فتنة النساء، فيجب عليه عند ورود الفتنة عليه أن يلتجئ إلىٰ ربه ويدعوه ويتوجه إليه مستعينًا به، ومتوكلًا ومعتمدًا عليه، فيوسف عليه السلام مع أنه نبي خاف الفتنة، فتوجه إلىٰ ربه مباشرة مبينًا ضعفه وافتقاره إليه، فقال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾، ثم قال الله عز وجل: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾، فالكريم جل وعلا إذا علم صدق عبده الداعية والتجائه إليه استجاب دعاءه وصرف عنه كل شر وفتنة.

٤- ذكر ابن عاشور رحمه الله لطيفة جميلة فقال: «ففي قول أيوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ كناية لطيفة عن

طلب لطف الله به ورفع النَّصب والعذاب عنه بأنهما صارا مدخلًا للشيطان إلىٰ نفسه، فطلب العصمة من ذلك، علىٰ نحو قول يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

٦- إنا نراك من المحسنين

قال تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف: ٣٦].

عندما دخل يوسف عليه السلام السجن كان من جملة من كان معه في السجن شابان فرأىٰ كل واحد منهما رؤيا، فقصَّها علىٰ يوسف، أما الأول فرأىٰ أنه يعصر خمرًا، وأما الثاني فرآىٰ أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه، ثم أرادا من يوسف تأويل الرؤيا؛ لأنهما رآوه من أهل الإحسان إلىٰ الخلق.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٢٢/ ٢٧٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الإضاءات الدعوية:

١- إذا كان خلق الإحسان ظهر علىٰ يوسف عليه السلام في وقت الضيق والسجن والمعاناة، ومع أناس كافرين، فكيف سيكون هذا الخلق إذا كان في وقت السعة والراحة ومع إخوانه المؤمنين؟

٢- خلق الإحسان تجلىٰ مع صاحبي يوسف في السجن، حيث إنهما رأوا عليه إحسانه معهما، قال العلماء: كان يساعد من معه في السجن، ويُلبي دعوتهم ويُعينهم، وقد رأوا عليه كذلك إحسانه مع ربه في عبادته وطاعته، وإحسان العبادة وإتمامها.

٣- الداعية أولىٰ الناس بالاتصاف بخلق الإحسان إحسانه مع ربه من جهة مراقبته له وخشيته وخوفه منه، في وظيفته وعمله، وتعامله مع الخلق، ومعاملاته المالية، وقيامه بالدعوة، وإحسانه في أداء العبادة وإتمامها علىٰ أكمل وجه، وإحسانه مع الخلق، فالداعية لا تقتصر دعوته بالكلمات، والخطب، والإلقاء فقط، بل دعوته تشمل مساعدته للخلق ومعاونتهم وقضاء حوائجهم، وإجابة دعوتهم، وزيارة مريضهم،

وإغاثة الملهوف منهم والمكروب، وخاصة إذا كان إمامًا للمسجد، فمثل هذه الأمور تتأكد في حقِّه.

٤- خلق الإحسان من الأخلاق التي تُؤثِّر في المدعوين، وتقربهم للداعية، وتحببهم فيه، فالناس يحبون من يساعدهم ويعاونهم ويقضي حوائجهم ويقوم علىٰ شؤونهم، فعندما يصدر ذلك من الداعية يكون لدعوته القبول والاستجابة من الآخرين، والأثر البالغ لها.

٥- خلق الإحسان مع الخلق لا يطلب الداعية عليه مقابلًا أو ردًا للمعروف، بل يفعل ذلك ابتغاء الأجر من ربه عَزَّوَجَلَّ، فالبعض قد يُحسن ولكن لمن يُحسن إليه، فإن رأىٰ إحسانًا أحسن، وإن رأىٰ غير ذلك لم يُحسن، فهو يعامل بالمثل، وهذه ليست أخلاق الدعاة.

٦- سِيما أهل الصلاح تظهر من خلال معاملتهم للآخرين وفي أقوالهم وتصرفاتهم وإحسانهم مع الخلق.

٧- قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن عادة المساجين حكاية المرائي التي يرونها، لفقدانهم الأخبار التي هي وسائل المحادثة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمحاورة، ولأنهم يتفاءلون بما عسىٰ أن يبشرهم بالخلاص في المستقبل»[(١)].

٧- إلا نبأتكما بتأويله

قال تعالىٰ عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف: ٣٧، ٣٨].

يوسف عليه السلام عندما عرض عليه الفتيان السجينان الرؤيا أخبرهما أنه سيعبرها لهما ولكن ينتظر إلىٰ أن يأتي طعام الغداء أو العشاء، ثم بدا له خلال هذا الوقت دعوتهم للتوحيد والإيمان بالله عز وجل، وبيَّن لهم أنَّ هذا الدِّين هو دين آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولم يكونوا مشركين بل موحدين مؤمنين، وأنَّ هذا الإيمان هو بفضل الله ومِنَّته عليهم، ولكن

(١) المرجع السابق: ١٢/ ٢٦٩.

أكثر الناس لا يشكرون نعمة الله عليهم.

من الإضاءات الدعوية:

١- يوسف عليه السلام استثمر حاجة هذين السجينين لتعبير الرؤيا لهما، فوجدها فرصة لدعوتهما، قال السعدي رحمه الله: «ولعل يوسف عليه الصلاة والسلام قصد أن يدعوهما إلىٰ الإيمان في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه، ليكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما»[(١)].

٢- الداعية يستثمر الأوقات المناسبة للدعوة إلىٰ الله، ويستثمر كذلك حاجة الناس إليه في قضاء حوائجهم الدنيوية إن كان ممن يملك ذلك، فيدعوهم للخير ويوجههم وينصحهم؛ لأن الإجابة في هذه الحالة أقرب وأسرع، والقلوب مفتوحة لذلك، ولا تجد غضاضة ولا ثقلًا في تقبل النصيحة، ويستثمر بعض المواقف التي قد لا تتكرر، وقد يقابل فيها أناسًا علىٰ غير دين الإسلام، فيدعوهم بوسيلة دعوية؛ نصيحة أو مطوية أو كتيب أو غيره، ويستثمر الأوقات

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٤١٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التي تكون القلوب فيها مقبلة على الله، كشهر رمضان وعند أداء فريضة الحج وغير ذلك من الفرص.

٣- قد يُسأل الداعية عن مسألة ما ويُطلب في حاجة قد لا تكون لها أهمية، فعليه أن يستثمر مثل هذه الفرص، ويفيد السائل بما ينفعه، خاصة إذا علم منه ما يحتاجه في أموره الشرعية التي تنفعه في آخرته.

٤- يوسف عليه السلام بعد أن فسَّر لهما الرؤيا، أخبرهم بأنَّ علم تأويل الرؤى هو نعمة من الله عز وجل ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾، فهو لم ينسب ذلك إليه أو بسبب علمه وقدرته، وهكذا الداعية يرد كل نعمة صغيرة وكبيرة إلى المنعم عز وجل، وهذا فيه تواضع وافتقار وإظهار الضعف لله عز وجل.

٥- على الداعية أن يبين لمن يدعوهم الطريق الصحيح الذي يجب السير عليه، ويحذرهم من طريق الشيطان والكفر بالله.

٦- نعمة الإسلام والإيمان فضل من الله ونعمة عظمى، يجب على المرء شكر الله عليها، والتمسك بها، والحرص عليها، وكثير من الناس لا يستشعرون عظم هذه النعمة التي يملكونها

وأنعم الله عليهم بها، وحرم الكثيرين منها، فكم ممن نشأ في بلاد كافرة وبين أبوين كافرين، فأصبح كافرًا، وكم ممن ترك الإسلام وتنصر وربما ألحد - نعوذ بالله -، فوالله لو حرم العبد كل النعم الدنيوية، وملك نعمة الإيمان لكفىٰ ولنجىٰ، ولو ملك الدنيا كلها، وفقد نعمة الإيمان والإسلام لهلك وخسر.

٨- أأرباب متفرقون خير

قال تعالىٰ عن يوسف عليه السلام: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

بدأ يوسف عليه السلام قبل أن يُفسِّر للشابين ما رأوه في المنام، بدعوتهما إلىٰ التوحيد، فسألهما أأرباب - وهي جمع رب - ضعيفة عاجزة متفرقون بين أحجار وأشجار وملائكة وغيرها خير؟ أم الله سبحانه الذي له صفات الكمال الواحد في صفاته وذاته وافعاله، القهار الذي انقادت له الأشياء لقهره وسلطانه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خير؟ ثم ذكر لهم أنَّ ما يدعونه من آلهة إنما هي أسماء، سمَّوها آلهة وهي لا شيء، ليس فيها من صفات الألوهية شيء، ولم يُنزلها الله تعالىٰ، فالحكم لله عَزَّوَجَلَّ هو الذي أمر بعبادته وطاعته وله الأمر والنهي، ودينه هو الدين المستقيم الذي يُوصل إلىٰ الخير، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

من الإضاءات الدعوية:

١- ما أجمل أن تكون الدعوة همّ الداعية الأول، فيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في السجن وظلماته، ومع الظلم وظلماته لكن كل ذلك لم يمنعه من الدعوة إلىٰ الله وتبليغه دينه، والداعية إن لم تكن الدعوة همّه فلن يعمل لأجلها ولن يجتهد فيها بما هو مطلوب منه، فكلما كان الشيء يُهمّ المرء بذل واجتهد فيه، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كما علىٰ العبد عبودية لله في الرَّخاء، فعليه عبودية له في الشِّدة، فيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يزل يدعو إلىٰ الله، فلما دخل السجن، استمر علىٰ ذلك، ودعا الفتيين إلىٰ التوحيد، ونهاهما عن الشرك»[(١)].

(١) المرجع السابق: ٤١٠.

٢- من أساليب الدعوة الرفق واللين عند الخطاب، حيث قال لهما: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ نداء لطيف وجميل، يُشعرهما أنهما صاحبيه مع أنهما كافرين، فتكون آذانهما له صاغية، وقلوبهما له مفتوحة، وتكون الاستجابة له قريبة، وقد نادىٰ نوح عليه السلام ابنه الكافر بمثل ذلك فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾، وقال إبراهيم عليه السلام لأبيه الكافر: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾ وقد تكرر المناداة بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ في عدة آيات.

٣- من وسئل الدعوة الإقناع العقلي، حيث قال: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ فيوسف عليه السلام وجه لهما خطابًا عقليًا هل عبادة آلهة متفرقة خير أم عبادة إله واحد؟، أليس جميع الآلهة التي تعبدونها هي من صنعكما وقد سميتموها أنتم وآباؤكم فكيف لعاقل أن يعبد مثل هذه الآلهة؟، فهو بدأ بهذه الوسيلة ولم يدعوهما بطريقة مباشرة؛ لأن الإقناع العقلي وسيلة قد يحتاج إليها الداعية في بعض الحالات وبحسب المدعوين فمثل هذه الوسيلة تجعل المدعو يُفكر ويتأمل ثم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يتوصل إلىٰ الحقيقة المرادة وإلىٰ الحق بنفسه؛ لأنه قد لا ينفع الترغيب والترهيب والموعظة والتذكير بالله مع بعض المدعوين ويكون الاقناع العقلي مؤثرا كبيرًا لقبول الحق، وقد ورد مثل ذلك مع قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه عندما حطم الأصنام، ومع النمرود.

٤- من وسائل الدعوة إلىٰ الله البدء بالأهم فالأهم والتدرج في الدعوة، حيث بدأ يوسف عليه السلام بدعوتهم للتوحيد، فأول ما يبدأ الداعية بالدعوة إلىٰ توحيد الله عز وجل، وهذا هو منهج الأنبياء جميعا قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فالبدء بالدعوة إلىٰ التوحيد تكون عند دعوة غير المسلمين أو المسلمين الذين لديهم خلل في العقيدة، وأما إن كان المدعوين صحيحي العقيدة، فيبدأ معهم بغير ذلك مما لديهم من تقصير، فيبدأ بدعوتهم إلىٰ أركان الإسلام وأولها الصلاة وهكذا، فكل قوم يُدعوْن بما يصلح لحالهم.

٥- من وسائل الدعوة إلىٰ الله أسلوب الاستفهام،

﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ فالاستفهام يُجذب الانتباه، ويُنبه المتلقي، ويُحرك العقل، ويجعله يتفكر ويتأمل فيما قيل له، والاستفهام في هذه الآية استفهام إنكاري، وقد يأتي بأنواع أخرىٰ ويُراد به التعجب: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾ وقد يراد به العتاب واللوم: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾.

٩- اذكرني عند ربك

قال تعالىٰ عن يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢﴾ [يوسف: ٤٢].

قال يوسف عليه السلام للرجل الذي نجا من السجن، وهو الذي رأىٰ أنه يعصر خمرًا، اذكر قصتي وشأني عند سيدك الملك لعله يرقَّ لي فيخرجني من السجن، فأنساه الشيطان أي أنسىٰ الناجي أن يذكر قصة يوسف للملك، فلبث بعد ذلك يوسف في السجن بضع سنين - أي ما بين ثلاث إلىٰ تسع سنوات -.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الإضاءات الدعوية:

١- لابأس للداعي وغيره أن يستعين بالمخلوق فيما يقدر عليه، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من وقع في مكروه وشدة، لا بأس أن يستعين بمن له قدرة علىٰ تخليصه، أو الإخبار بحاله، وأنَّ هذا لا يكون شكوىٰ للمخلوق، فإنَّ هذا من الأمور العادية التي جرىٰ العرف باستعانة الناس بعضهم ببعض، ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج من الفتيين: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾»[(١)].

٢- علىٰ الداعية أن يبذل السبب في تفريج همه، وتفريج كربته، وطلب المساعدة ممن يقدر علىٰ ذلك، وقد لا يحصل له ما أراد ولو بذل كل الأسباب لحكمة يريدها الله له، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾...، لما أراد الله أن يُتمَّ أمره، ويأذن بإخراج يوسف من السجن، قدَّر لذلك سببًا لإخراج يوسف وارتفاع شأنه وإعلاء قدره، وهو رؤيا الملك»[(٢)].

---

(١) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي: ٤١٠.

(٢) المرجع السابق: ٣٩٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٠- يوسف أيها الصديق

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يوسف: ٤٥، ٤٦].

عندما فسَّر يوسف عليه السلام رؤيا الفتيين اللذين كانا معه في السجن أخبر أحدَهما بأنه سيخرج وينجو، ووصَّاه بأن يذكر أمره وقصته للملك حتىٰ يُخرجه من السجن، ولكن النَّاجي نسي ذلك، فرأىٰ الملك رؤيا بعد سنوات من خروج الناجي وأراد تأويلها، فأخبر الله في هذه الآيات أنَّ الذي نجا من السجن تذكَّر بعد سنوات أنَّ في السجن رجلا يُعبِّر الرؤىٰ وهو يوسف عليه السلام، وأراد من الملك أن يُرسله للسجن ليُقابله، فذهب إليه وقال له: يوسف أيها الصديق أخبرني عن تفسير هذه الرؤيا التي رآها الملك، فقام يوسف عليه السلام مباشرة بتأويلها له كاملة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الإضاءات الدعوية:

١- يوسف عليه السلام لم يُقابل الإساءة بالإساءة، فعندما وصىٰ الرجل النَّاجي بأن يُكلم الملك في شأن خروجه وقصته نسي ذلك الرجل الأمر، فمكث يوسف بسبب ذلك النسيان سنوات في السجن، وعندما أراد الرجل من يوسف تعبير رؤيا الملك ظهر إحسانه في هذا الموقف كذلك، فلم يمتنع من ذلك، ولم يُذكِّره بنسيانه، ولم يُقابل نسيانه وإساءته بالإساءة وعدم التأويل، بل فسرها له مباشرة، لأنه لا يرجو من ذلك أجرًا ولا مقابلًا، وهذا خلق عظيم.

٢- علىٰ الداعية أن يعمل كل عمل لله من دعوة، ونصيحة، وتقديم خير، ومشورة، وإعانة، ومساعدة، وقضاء حاجة، ولا ينتظر أجرًا ولا مقابلًا علىٰ ذلك من الآخرين، ولا يكون ممن يُحسن لمن أحسن إليه، ولا يُحسن لمن لم يُحسن إليه، فهو بذلك جعل لإحسانه مقابلًا، ولم يجعله للأجر والثواب وإرادة ما عند الله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٣- قد تُعرض حاجة للداعية عند الناس من طلب شفاعة، أو حاجة مالية، أو مساعدة في أمر ما، فربما لم يقف أحد معه، ثم تُعرض حاجة لمن رفض مساعدته، فينبغي عليه أن يقوم بمساعدته بقدر المستطاع، ولا يقول: هو لم يقف معي فأنا لن أقف معه، ولا يُقابل ذلك بمثله بل يُبادر ويُقدِّم ويسعىٰ، ويرجو ما عند الله عَزَّوَجَلَّ.

٤- علىٰ الداعية وغيره أن يستهل حديثه بكلمات، وعبارات جميلة، وثناء علىٰ الآخرين، وأن يعرف قدر العالِم والمفتي، وأن يُخاطبه بما يناسبه، وينزله منزلته، قال الألوسي رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقًا علىٰ قول الله تعالىٰ عن المستفتي قوله: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: «ووصفه بالمبالغة في الصِّدق حسبما علِمه وجرَّب أحواله في مدة إقامته معه في السجن لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس أنواره، فهو من باب براعة الاستهلال، وفيه إشارة إلىٰ أنه ينبغي للمستفتي أن يُعظِّم المفتي»[(١)].

(١) روح المعاني للألوسي: ٦/ ٤٤٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١١ - ارجع إلى ربك

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ [يوسف: ٥٠].

لما عبَّر يوسف عليه السلام رؤيا الملك أُعجب بتأويله وعرف فضل يوسف وعلمه، حينئذ أمر بإخراج يوسف عليه السلام من السجن، ولكنه رفض عليه السلام ذلك حتىٰ تثبت براءته أمام الناس، فطلب من الرسول الذي جاء إليه أن يرجع إلىٰ ربه أي الملك، فيسأله عن حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن، ولماذا فعلن ذلك؟ وما السبب؟ فإن ما فعلنه من مكر وكيد فالله عز وجل عليم به سبحانه.

من الإضاءات الدعوية:

١- بيان فضيلة العلم، وأنه خير للمرء ورفعة له في الدنيا والآخرة، قال السعدي رحمه الله: «فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية؛ وأنه أفضل من الصورة الظاهرة، ولو بلغت في الحسن جمال

يوسف، فإن يوسف - بسبب جماله - حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض، فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته»[١].

٢- ورد عن النبي ﷺ الثَّناء علىٰ يوسف عليه السلام في هذا الموقف الذي فعله، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ولو لبثتُ في السجن طول لَبثِ يوسف لأجبتُ الداعي**»[٢] يقول النووي رحمه الله: «فهو ثناء علىٰ يوسف عليه السلام وبيان لصبره وتأنِّيه والمراد بالدَّاعي رسول الملك الذي أخبر الله تعالىٰ أنه قال ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلىٰ ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن، فلم يخرج يوسف ﷺ مبادرًا إلىٰ الراحة ومفارقة السجن الطويل بل تثبت وتوقَّر وراسل الملك في كشف أمره الذي سُجن بسببه، ولتظهر براءته عند الملك وغيره، ويلقاه مع اعتقاده براءته مما نُسب إليه ولا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٤١٠.

(٢) أخرجه مسلم برقم: ١٥١ والبخاري برقم: ٤٦٩٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خجل من يوسف ولا غيره، فبيَّن نبينا ﷺ فضيلة يوسف في هذا، وقوة نفسه في الخير، وكمال صبره، وحسن نظره»[(١)].

٣- قد يحتاج الداعية في بعض المواقف لما فعله يوسف عليه السلام من إظهار براءته أمام الناس، وأن ترجع سمعته ومكانته كما كانت نظيفة طاهرة، حتىٰ لا يكون في قفص الاتهام وفي موقف الضعيف المتهم، ثم تُرفض دعوته بعد ذلك وترد - لا قدَّر الله -، وتُصبح سيرته واسمه علىٰ كل لسان، فالداعية لا ننس أنه حامل ومبلِّغ لدين الله عز وجل، قال ابن عطية رحمه الله: «وكان هذا الفعل من يوسف عليه السلام أناة وصبرًا وطلبًا لبراءة الساحة، وذلك أنه فيما رُوي خشي أن يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن أمر ذنبه صفحًا، فيراه الناس بتلك العين أبدًا، ويقولون: هذا الذي راود امرأة مولاه، فأراد يوسف عليه السلام أن تبين براءته، وتتحقق منزلته من العفة والخير»[(٢)]، وقال ابن عاشور رحمه الله: «وجعل طريق تقرير

(١) شرح صحيح مسلم للنووي: (٢/ ١٨٥).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية: ٣/ ٢٥٢.

براءته مفتتحة بالسؤال عن الخبر لإعادة ذكره من أوله، فمعنىٰ (فسأله) بلِّغ إليه سؤالًا من قِبلي، وهذه حكمة عظيمة تَحِقُّ بأن يُؤتسىٰ بها، وهي تَطَلُّب المسجون باطلًا أن يبقىٰ في السجن حتىٰ تتبين براءته من السبب الذي سُجن لأجله، وهي راجعة إلىٰ التحلي بالصبر حتىٰ يظهر النصر»[(١)].

١٢ - اجعلني على خزائن الأرض

قال تعالىٰ عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ [يوسف: ٥٥].

عندما ظهرت براءة يوسف عليه السلام أمام الملك أراد الملك إكرامه، فقال له: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾، أي مُتمكِّن أمين علىٰ أسرارنا، فطلب منه يوسف عليه السلام أن يجعله وكيلًا علىٰ خزائن الأرض أي أملاك مصر، ثم بيَّن له أنه سيكون حفيظًا علىٰ الأموال فلا يصرفها في غير مكانها أمينًا عليها، عليمًا بكيفية إخراجها وادخارها وتدبيرها.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٢/ ٢٨٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الإضاءات الدعوية:

١- اللطيف سبحانه هو الذي يرسل الخير في خفاء، أو يصرف الشر في خفاء، فلما أراد ﷻ أن يخرج يوسف من السجن لم يرسل عاصفة تقلع أسوار السجن، أو جنود أقوياء ليخرجوه، بل أرسل رؤيا منامية أراها الله الملك في المنام، ففسرها يوسف عليه السلام وخرج بسببها.

٢- يوسف عليه السلام طلب من ملك مصر منصبًا يتولاه، والأصل أنَّ العبد المؤمن لا يطلب المناصب الدنيوية، فهي فتنة ومشغلة وخزي وندامة[١] ومسؤولية، ولكن له أن يطلبها في بعض الحالات كحالة يوسف عليه السلام؛ لأنه علمَ أنه لا يوجد من يقوم بهذه المهمة غيره، فهو الأصلح لها، وهو لم ينظر لمصلحة نفسه بل نظر لمصلحة الأمة كلها في حفظ أموالهم وكيفية صرفها عليهم، قال القرطبي رحمه الله: «ودلت الآية أيضًا

(١) كما صح في الحديث قال عليه الصلاة والسلام: «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدَّىٰ الذي عليه فيها» أخرجه مسلم: برقم (١٨٢٥).

علىٰ أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل، قال الماوردي: وليس هذا علىٰ الإطلاق في عموم الصفات، ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصله، أو تعلق بظاهر من مكسب، وممنوع منه فيما سواه، لما فيه من تزكية ومراءاة، ولو تنزَّه الفاضل عنه لكان أليق بفضله، فإنَّ يوسف دعته الضرورة إليه لما سبق من حاله، ولما يرجو من الظفر بأهله»[(١)].

٣- الداعية إن طلب مثل هذه المناصب فهو يطلبها ليس لمصلحة شخصية له من مال وجاه ومنصب، بل هدفه مصلحة الناس العامة ونفعهم.

٤- الداعية الصادق التقي الورع إن عُرض عليه منصب وعلِم أنه ليس أهلًا له أو أنَّ هناك من هو أفضل منه فعليه أن لا يقبله ولا يفرح به، بل يختار من هو أفضل منه كفاءة وأمانة، فالمناصب مسؤولية وأمانة.

٥- المنصب يحتاج إلىٰ صفتين مهمتين ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، حفيظ يحفظ ما أوكل إليه، ويراقب الله عَزَّوَجَلَّ فيه،

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١١/ ٣٨٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأمين عليه فلا يُضيِّعه في غير محله، وعليم يعلم مهمته وكيف يقوم بها علىٰ أحسن وجه، عليم بما ينفع وما يضر، وما يصلح وما لا يصلح، وقد ورد مثل ذلك في فتاة مدين مع موسىٰ عليه السلام، فقال الله تعالىٰ عنها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ فالقوة هي العلم، والأمانة هي الحفظ.

٦- قال ابن عاشور رحمه الله: «فإنه عَلِم أنه اتَّصف بصفتين يعسر حصول إحداهما في الناس بَلْهَ كلتيهما، وهما: الحفظ لما يليه، والعلم بتدبير ما يتولاه، ليعلم الملك أنَّ مكانته لديه وائتمانه إياه قد صادفا محلهما وأهلهما،... وفي هذا تعريف بفضله ليهتدي الناس إلىٰ اتباعه وهذا من قبيل الحسبة»[(١)].

١٣ - فأسرَّها يوسف

قال تعالىٰ عن إخوة يوسف: ﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يوسف: ٧٧].

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٣/ ٩.

قام يوسف عليه السلام بحيلة حتىٰ يأخذ أخاه بنيامين إليه، فاتهمه بالسرقة، ووضع صواع الملك في متاعه - وهو إناء من فضة يُشرب فيه -، فعندئذ قال إخوة يوسف له: إن يسرق -أي بنيامين- فقد سرق أخ له من قبل -ويقصدون يوسف عليه السلام- فأسرَّها يوسف أي أسرَّ الجواب لهم في نفسه ولم يظهره، قائلًا: أنتم شر مكانًا والله أعلم بما تصفون، لأنهم كذبوا في مقولتهم ولم يصدقوا فيها، فالله عز وجل أعلم بما قالوا من كذب وافتراء.

من الإضاءات الدعوية:

١- من حكمة الداعية في بعض المواقف أن لا يرد خاصة مع بعض الخصوم، أو من هم من إخوانه من الدعاة، فقد لا يتمالك الداعية نفسه، فيرد ردًا سيئًا وخارجًا عن الأخلاق الحسنة، خاصة إذا كانت في العلن، ولأن بعض الردود والإجابات قد توقع مفسدة من غضب وخصام وغيره، وقد تكون الردود خروجًا عن محل النقاش، أو ردودًا شخصية، فيخرج النقاش

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن مساره الأصلي وعن مقصده، أو تكون الردود سيئة وقوية، أو فيها جرح للمشاعر واتهام للآخرين.

٢- قد يُتَّهم الداعية بتهمة باطلة أمام الناس وقد تكون هذه التُّهمة صدرت من داعية آخر، فمن الحكمة في بعض المواقف عدم الرد والاكتفاء بالصمت والنظر إلىٰ المصالح والمفاسد، فقد يكون الرد سببًا في وقوع الخصومة بين الدعاة وفرح الأعداء بذلك وتشمتهم وتصيدهم.

١٤- قد منَّ الله علينا

قال تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف: ٩٠].

عندما علم إخوة يوسف عليه السلام به وبما بلغ من المكانة العالية تعجبوا من ذلك، فأخبرهم بأنه هو يوسف وهذا أخوه بنيامين، وأنَّ الله قد منَّ وتفضل عليهما، وما سبب ذلك إلا لأنه اتقىٰ الله وصبر علىٰ ما قدره له من مقادير ومصائب، فإنَّ الله الكريم لا يُضيع أجر كل من أحسن.

من الإضاءات الدعوية:

١- المتأمل في سورة يوسف وقصته يجد خلق الاعتراف بفضل الله ونعمته عليه في كل شيء واضحًا في قصته عليه السلام، وردَّ كل نعمة لله عز وجل، ففي الآية الأولىٰ عندما علم إخوته به وبما صار إليه من منصب وجاه تعجبوا من ذلك فقالوا له: أأنت يوسف، فأجابهم: نعم أنا يوسف وهذا أخي بنيامين قد منَّ الله علينا بنعمه حيث جمعنا، ثم بيَّن لهم سبب إنعام الله عليه أنه من يتق الله ويخشه ويخفه ويعبده ويصبر علىٰ كل ما قدره الله عليه من مصائب فإنَّ الله الكريم سبحانه لا يضيع أجر المحسنين، وفي بقية الآيات قال معترفًا لأهل السجن بنعمة الله عليه بالإيمان: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾، وقال في آية أخرىٰ عندما أراد تأويل رؤيا أصحاب السجن قال لهما: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾، وقال لوالديه عندما رفعهما علىٰ العرش: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾، وختمها بدعاء ربه بقوله: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- اعتراف الداعية بنعم الله عليه وردِّها إليه وشكرها عليه دليل علىٰ التواضع وبيان حاله وضعفه وعجزه ولو بلغ من المناصب ما بلغ، ومن العلم ما بلغ، فالمنعم هو الله ﷻ والفضل له سبحانه.

٣- علىٰ الداعية بعد اعترافه بنعم الله عليه أن يسخرها في طاعة ربه المنعم جل وعلا، فيسخر عقله وفهمه وقلمه وذكاءه وعلمه فيما يعود لنفسه ولأمته بالنفع والصلاح والرشاد ورضا رب العباد.

٤- قد يمتنُّ الله علىٰ الداعية بكثرة علم، وحسن فهم، وسرعة حفظ، وبلاغة في القول، وفصاحة في اللسان، وقبول الناس له، وحضورهم إليه، فعليه في كل ذلك أن يرد النعمة إلىٰ ربه ويحمده عليها، ويشكره بالفعل والقول، وأن يحذر من الغرور والعجب ورؤية النفس علىٰ الآخرين.

٥- قد يتفاخر بعض الدعاة بكثرة علمه، وكثرة إقبال الناس عليه، وعدد محاضراته وكلماته ومواعظه، وعدد من تاب وتأثر بكلماته، فالأولىٰ للداعية أن لا يذكر مثل ذلك،

وإن اقتضىٰ الحال ذكر مثل ذلك من باب التحدث بنعمة الله عليه أو لحاجة فعليه أن يرد كل نعمة من هذه النعم لله ﷻ، وأن يستصغر نفسه ولا يرىٰ نفسه شيئًا، فالفضل أولًا وآخرًا لله سبحانه.

٦- علىٰ الداعية أن يغتنم الفرصة لإلقاء الموعظة في الوقت المناسب الذي تكون فيه القلوب مقبلة ومتأثرة ونادمة، يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أراد يوسف عليه السلام تعليمهم وسائل التَّعرض إلىٰ نِعَم الله تعالىٰ، وحثَّهم علىٰ التقوىٰ والتَّخلق بالصَّبر تعريضًا بأنهم لم يتَّقوا الله فيه وفي أخيه، ولم يصبروا علىٰ إيثار أبيهم إياهما عليهم، وهذا من أفانين الخطابة أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعظة، وهي فرصة تأثر السامع وانفعاله وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته»[1].

١٥ - لا تثريب عليكم اليوم

قال تعالىٰ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩٢].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٣/ ٤٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عندما علم إخوة يوسف عليه السلام بأمره وأنه بلغ من المنزلة ما بلغ اعترفوا حينها بأنَّ الله منَّ عليه وفضَّله عليهم، وأنهم كانوا خاطئين، عندها قال لهم يوسف عليه السلام: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾، أي لا تعيير بعد هذا اليوم لكم، ولا إفساد بيني وبينكم، فسأعفو عنكم، والله الغفور يغفر لكم، فهو أرحم الراحمين سبحانه.

من الإضاءات الدعوية:

١- قال ابن عطية رحمه الله: «لا تثريب عليكم عفو جميل، والتثريب: اللَّوم والعقوبة، وما جرىٰ معهما من سوء معتقد ونحوه، وقد عبَّر بعض الناس عن التثريب بالتعيير»[(١)]، إنَّ العفو من خلق الكرام الأتقياء النبلاء، فيوسف عليه السلام لقي من إخوته ما لقي، من إلقائه في الجب وهو صغير، ثم بيعه فأصبح رقيقًا، ثم حرمانه من والديه، وتعرضه لفتنة امرأة العزيز، ثم دخوله السجن سنوات طويلة، كل هذه المصائب والمشكلات سببها

(١) المحرر الوجيز لابن عطية: ٣/ ٢٧٨.

إخوته، فعندما اعتذروا واعترفوا بخطئهم عفا عنهم مباشرة بدون تردد، ولا تذكيرٍ لهم بسابق فعلهم، ولا تأنيب لهم، ولا تجريح ولا شيء، وهذه درجة عالية من العفو.

٢- العفو قد يصدر من الضعيف المغلوب الذي لا يقدر علىٰ أخذ حقه، فمثل ذلك جميل وقد يكون طبيعيًا، ولكن الأعظم من ذلك عندما يصدر من القوي القادر المظلوم تجاه الضعيف المغلوب الظالم، فحينها يكون الخلق أعظم أجرًا، ويدل علىٰ حسن المعدن وحسن الخلق.

٣- الداعية قد يتعرض في حياته لمواقف عدة من اعتداءات قولية وفعلية، إما أن تصدر من جاهل، أو عن طريق الخطأ كهفوة وزلة، أو تصدر من عامد متعمد، فعليه أن يُوطِّن نفسه علىٰ العفو واحتمال الأذىٰ والصبر، وأن يتذكر قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ٤٠].

٤- من الجميل أن يُلحق الداعية عفوه وصفحه عن المخطئ بدعاء له بالمغفرة والرحمة والهداية، فيوسف عليه السلام

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال لهم: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾، قال ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أسقط حق نفسه بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ﴾ ثم دعا الله أن يغفر لهم حقه»[(١)]، والدعاء كالبلسم على قلب المخطِئ والمخطأ عليه، فهو يزيل ما في النفوس من ضغائن وأحقاد، وبقايا من نزغات الشيطان.

٥- ظهر إحسان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مع إخوته في مواقف كثيرة، منها مساعدتهم بالطعام والقوت، ومن ثمَّ العفو عنهم عفوًا تامًا مع عدم معاتبتهم، بل عدم تذكيرهم بجرمهم السابق، وإرجاع كل ما فعلوا لنزغ الشيطان.

١٦ - ورفع أبويه على العرش

قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ١٠٠].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: ١/ ٤٢٦.

عندما علم إخوة يوسف بأمره دعاهم أن يأتوا بوالديه وبإخوته جميعًا إلىٰ مصر، فعندما وصل والداه إليه ورآهما بعد طول غيبة وانتظار وغربة امتدت سنوات قام حينها تقديرًا لهما ورفعًا لمكانتهما بإجلاسهما علىٰ سرير الملك، ثم سجدوا له جميعهم مع إخوته -وهذا سجود تقدير واحترام وكان جائزًا في شريعتهم- وهو تفسير للرؤيا التي رآها وهو صغير، حيث رأىٰ أنَّ أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له يسجدون، وكان تأويل الرؤيا أن سجد له إخوته الأحد عشر ووالداه له، فتحققت الآن الرؤيا وصدقت بعد سنوات، ثم ذكر نعمة الله عليه إذ أخرجه من السجن، وجاء بهم من البادية، وذلك بعد أن وقعت بينه وبين إخوته مكائد الشيطان ونزغاته، فالله هو اللطيف الذي لطف به وحفظه، العليم الحكيم سبحانه.

من الإضاءات الدعوية:

١- من صفات الداعية احترام كبار السن وتقديرهم، وإنزالهم منازلهم اللائقة بهم، وأولىٰ الناس بذلك الوالدان،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهما أحق الناس بالتقدير والمساعدة والطاعة، فمن المؤسف أن نرىٰ بعض من ينتسب للعلم جافًا غليظًا شديدًا مع والديه، يعاملهما مثل ما يعامل الآخرين من الناس، بل قد نجد من يرفق ويلين ويتحدث بأسلوب جميل لبق مع الناس، وتجده لا يطبق ذلك مع والديه.

٢- من احترام كبار السن تقديرهم في المجالس من قبل الدعاة، وتقبيل رؤوسهم، وإعطاؤهم منزلتهم، وتقديمهم في صدر المجلس، ومعرفة حقهم في ذلك، لأن بعض الدعاة قد يغفل عن ذلك بسبب مكانته وعلمه، فيُقدَّم من قِبل الناس مع وجود من هو أكبر منه في المجلس بكثير وينساهم.

٣- يظهر في هذه الآية لطف يوسف عليه السلام ولباقته وحسن خطابه وخلقه الكريم مع إخوته، حيث قال لهم معترفًا بنعمة الله عليه: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾، فهو ذكر لهم مصيبته في السجن مع أنَّ هناك مصيبة أعظم وأشد وهي بداية المصائب عندما ألقوه إخوته في

الجب وهو البئر، فهو لم يذكرها لهم، قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أحسن بي ربي، أي: أنعم عليَّ، إذ أخرجني من السجن، ولم يقل من الجب مع كونه أشد بلاء من السجن استعمالًا للكرم لكيلا يخجل إخوته بعد ما قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، ولأنه نعمة الله عليه في إخراجه من السجن أعظم، لأنه بعد الخروج من الجب صار إلىٰ العبودية والرق، وبعد الخروج من السجن صار إلىٰ الملك، ولأن وقوعه في البئر كان لحسد إخوته له، وفي السجن كان مكافأة من الله تعالىٰ لزلة كانت منه»[1]، كذلك قال لهم: ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ فلم يقل لهم وجاء بكم من الجوع والنصب والتعب والفقر.

٤- من حسن خلقه كذلك عندما نسب ما فعله إخوته للشيطان، فقال: ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلم يقل «نزغ الشيطان إخوتي» بل كأنَّ

(١) معالم التنزيل للبغوي: ٢/ ٥١٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الذَّنب والجهل، صدر من الطرفين»[(١)]، وهذه من الأخلاق الرفيعة العالية.

٥- من لباقته وأدبه أنه قال لهم: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فهو لم يذكر أمامهم ما فعلوه من مصائب، قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأشار إلىٰ مصائبه السابقة من الإبقاء في الجب، ومشاهدة مكر إخوته به بقوله: من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي، فكلمة بعد اقتضت أن ذلك شيء انقضىٰ أثره، وقد ألمَّ به إجمالًا اقتصارًا علىٰ شكر النعمة، وإعراضًا عن التذكير بتلك الحوادث المكدِّرة للصلة بينه وبين إخوته فمرَّ بها مرَّ الكرام وباعدها عنهم بقدر الإمكان إذ ناطها بنزغ الشيطان»[(٢)].

٦- الداعية يحتاج لمثل هذه الأخلاق من لباقة ولطف وأدب، وحسن خلق مع أقرب الناس إليه، والديه، وزوجته،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٤٠٥.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٣/ ٥٧.

وأهل بيته، وجيرانه، وزملائه، ومع المجتمع أجمع.

٧- تحلي الداعية بحسن الخلق مع من هو أفضل منه وأعلم منه وأقوىٰ منه وأعلىٰ منه منزلة ومنصبًا أمر قد يبدو طبيعيًا، ولكن عندما يكون هذا الخلق لمن هو أضعف منه وأقل علمًا وأحوج إليه ومع من هو مخطئ مذنب هنا يبدو الأمر مختلفًا، ولا يصدر مثل ذلك إلا ممن عظمت أخلاقه، وارتفع شأنه، وزكت نفسه.

١٧ - توفني مسلمًا

يقول تعالىٰ عن يوسف عليه السلام: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١].

في ختام قصة يوسف عليه السلام دعا بدعوات عظيمات، أولها اعترافه بنعمة الله عليه من الملك وتأويل الرؤىٰ، ثم ثناؤه علىٰ ربه، ثم دعاؤه أن يُميته ويتوفاه علىٰ الإسلام ويُلحقه بالصالحين، قال ابن جزي رحمه الله: «﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ لما عدَّد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النِّعم التي أنعم الله بها عليه..، دعا أن الله يتم عليه النِّعم بالوفاة علىٰ الإسلام إذا حان أجله»[١].

من الإضاءات الدعوية:

١- الداعية بحاجة دائمًا إلىٰ أن يدعو ربه ويسأله في صلاته وسجوده وقيامه وذهابه، ويعترف له بالنعم التي أنعم بها عليه، وأن يبدأ دعاءه بالثناء علىٰ ربه بأسمائه وصفاته.

٢- الله عَزَّوَجَلَّ هو ولي الصالحين الأبرار، من يتولىٰ أمورهم وشؤونهم، ناصرهم وحافظهم من كل سوء ومكروه، قال تعالىٰ عن نبينا محمد ﷺ: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾.

قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ وَلِيِّيَ﴾ أي الأقرب إليّ باطنًا وظاهرًا ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ﴾ أي لا وليّ لي غيرك، والولي يفعل لمولاه الأصلح والأحسن، فأحسِن بي في الآخرة أعظم ما أحسنت بي في الدنيا»[٢].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: ١/ ٤٢٧.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٤/ ١٠٠.

٣- من صفات الداعية عدم الاغترار بنفسه وبإيمانه وتقواه، وظنّه أنه سيموت علىٰ الإسلام يقينًا، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلِّبها كيف يشاء، فعليه أن يسأل ربه الثبات علىٰ الحق حتىٰ يلقاه، ويسأله الموت علىٰ الإسلام، قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأشار بقوله توفني مسلمًا إلىٰ النِّعمة العظمىٰ وهي نعمة الدِّين الحق، فإنَّ طلب توفِّيه علىٰ الدِّين الحق يقتضي أنه مُتَّصف بالدِّين الحق المعبر عنه بالإسلام من الآن، فهو يسأل الدوام عليه إلىٰ الوفاة»[1].

٣- من صفات الداعية التواضع حتىٰ في دعائه، فيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا ربه بقوله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ مع أنه نبي صالح، ومع ذلك يطلب من الله أن يلحقه بالصالحين، فكأنه ليس منهم.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٣/ ٦٠.

رابعًا: موسى عليه السلام

١- وأوحينا إلىٰ أم موسىٰ أن أرضعيه

٢- رب إني ظلمت نفسي

٣- فلن أكون ظهيرًا للمجرمين

٤- وجاء رجل من أقصىٰ المدينة

٥- عسىٰ ربي أن يهديني

٦- ما خطبكما

٧- قال لا تخف

٨- القوي الأمين

٩- خذها ولا تخف

١٠- رب اشرح لي صدري

١١- هو أفصح مني لسانًا

١٢- فقولا له قولًا لينًا

١٣- وفعلت فعلتك

١٤- استعينوا بالله واصبروا

١٥- اذكروا نعمة الله عليكم

١٦- لا أملك إلا نفسي وأخي

١٧- وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين

١٨- وألقىٰ الألواح

١٩- أتتخذنا هزوًا

١- وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه

قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ **إلىٰ قوله تعالىٰ:** ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ٧-١٢].

عندما ولدت أم موسىٰ طفلها الصغير موسىٰ عليه السلام ولدته في وقت حرج، حيث أصدر فيه فرعون الطاغية أمرًا بقتل كل طفل ذكر يُولد من بني إسرائيل، وحينها أوحىٰ الله تعالىٰ إليها أن ترضعه، فإذا خافت عليه فعليها أن تلقيه في البحر، وأمرها أن لا تخاف من ذلك ولا تحزن، وبشرها ربها بأنه سيرده لها بل سيصبح من المرسلين، ثم عندما وضعت الطفل الصغير في التابوت وألقته في البحر وصل بإرادة الله وقدرته وتدبيره إلىٰ من يريد قتله وهو فرعون، وصل إلىٰ بيته وقصره، فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزنًا أي يحزنهم؛ لأنَّ نهايتهم ستكون علىٰ يديه، وعندما أرادوا قتله رأته امرأة فرعون آسيا بنت مزاحم فدخل حُبُّه إلىٰ قلبها، فنهتهم ومنعتهم عن قتله، وقالت لهم: لعله يكون قرة عين لنا، فيكون ولدًا لنا -وكانت ليس لها ولد- أو ينفعنا فنتخذه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خادمًا، وأصبح قلب أم موسىٰ حينها فارغًا حزينًا لا تعلم ماذا حدث لابنها الصغير وما فعل الله به، وإن كادت من فراغ قلبها وحزنها علىٰ ولدها أن تفضح الأمر وتذهب وتخبرهم بأنه ولدها، ولكن الله ربط علىٰ قلبها وثبَّتها وجعلها من المؤمنين، ثم أمرت أمُّ موسىٰ أختَه أن تبحث عنه وتسأل عن أخباره، فسمعت أخت موسىٰ أن امرأة فرعون تبحث عن مرضعة ترضع موسىٰ عليه السلام، فقامت أخته فأخبرتهم بامرأة ترضعه وهي أمه وهم لا يعلمون بذلك، ثم ردَّ الله موسىٰ عليه السلام إلىٰ أمه لترضعه في أمن وسلام بعد أن كانت ترضعه في خوف وقلق، وهذا هو وعد الله الحق لها.

من الإضاءات الدعوية:

١- من العَجَب أنَّ الله عز وجل يقول لأم موسىٰ: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾، ومعلوم أنَّ المرء إذا خاف علىٰ شيء حفظه عنده وخبَّأه، ولكنَّ الله القوي القادر اللطيف العليم أوحىٰ إليها أن تلقيه حتىٰ يريها قدرته ومشيئته.

٢- في هذه الآيات تتجلىٰ لنا إرادة الله ومشيئته في حفظ

عبده المؤمن، ولو تآمرت عليه أقوىٰ قوىٰ الأرض لقتله، ففرعون ذُكر له أنه سيولد طفل تكون نهاية ملكه علىٰ يده[١]، فأمر بقتل الأطفال الذكور كلهم، ثم تراجع فأصبح يقتلهم سنة ويَدَعهم سنة أخرىٰ حتىٰ لا يفنىٰ الذكور من بني إسرائيل، وفي العام الذي يقتل فيه الذكور ولد موسىٰ عليه السلام.

٣- من قدرة الله وحفظه لعبده المؤمن أن قذف في قلب زوجة فرعون الطاغية دفاعها عن قتل الطفل، بل زيادة علىٰ ذلك قذف في قلبها حُبَّ الطفل الصغير موسىٰ عليه السلام، واتخاذه ولدًا لها.

٤- تُثبت لنا هذه القصة قدرة الله العظيم حيث إنَّ نساء

---

(١) ذكر البغوي رحمه الله في تفسيره (١ / ١١٣) أن فرعون رأىٰ في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي فيها، ولم تتعرض لبني إسرائيل، فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه، فقالوا يولد ولد في بني إسرائيل غلام يكون علىٰ يديه هلاكك وزوال ملكك، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل، وذكر ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١ / ٢٧٤) أن بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يأثرونه عن إبراهيم عليه السلام من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر علىٰ يديه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بني إسرائيل كنَّ يختبئن عند ولادتهن بالذكور حتىٰ لا يعلم بهن فرعون فيذبح أطفالهن، ولكن الشأن هنا مع موسىٰ مختلف جدًا، فالله القوي القادر ﷻ الحفيظ الحافظ هو من أرسل موسىٰ الصغير إلىٰ فرعون الطاغية، وأدخله قصره، ولم ينتظر من فرعون أن يبحث عنه.

٥- هذه القصة تُحكي لنا قصة رجل جبار ملك طاغية، وطفل ضعيف رضيع لا حول له ولا قوة إلا بربه ﷻ، فكانت النتيجة انتصار الطفل الصغير علىٰ الملك العظيم.

٦- قوة الله وقدرته وحفظه لعباده المتقين جعلت الطفل الصغير يقتحم قصر فرعون، ويدخل عليه بلا إذن ولا واسطة، ثم يقتحم قلب امرأته فتحبه، ثم يبحثون له عن مرضعة ترضعه حتىٰ يكبر ويشِبَ، ثم يتربىٰ في بيته، وكل ذلك وفرعون يقف متفرجًا غير قادر علىٰ منع ذلك، وهو من يريد قتله أصلًا.

٧- علىٰ الداعية أن يعلم يقينًا أنَّ الله علىٰ كل شيء قدير، وأنه مهما اجتمعت علىٰ العبد قوىٰ الأرض وملوكها وجنودها

ليضروه فلن يستطيعوا الوصول إليه إذا لم يُرِد الله ذلك، وفي الحديث قال ﷺ: «**واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»(١).

٨- علىٰ الداعية أن يثق بربه وخالقه ومولاه، وأن يتوجه إليه، وأن لا يخشىٰ أحدًا إلا ربه، وأن لا يخشىٰ المخلوقين مهما بلغوا، وأن يستشعر عظمة الله القوي القادر أمام قوة العبد الضعيف العاجز.

٩- نزول الطمأنينة علىٰ القلب والسكينة عند المقلقات والفواجع والمدلهمات نعمة من الله، قال تعالىٰ عن أم موسىٰ: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ ربطنا أي ثبتناها فصبرت، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنَّ من أعظم نعم الله علىٰ عبده، و أعظم معونة للعبد علىٰ أموره، تثبيت الله إياه، وربط جأشه وقلبه عند المخاوف، وعند الأمور المذهلة، فإنه بذلك يتمكن من القول الصواب، والفعل الصواب، بخلاف من استمر قلقه

(١) أخرجه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٠٥١)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وروعه، وانزعاجه، فإنه يضيع فكره، ويذهل عقله، فلا ينتفع بنفسه في تلك الحال»[١].

١٠- أن يعلم الداعية بأنه مهما تراكمت عليه الهموم والضغوط والمشكلات والتضييق فإن الفرج بيد الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ الله مُطّلِع عليه، ولكن له حكمة في ذلك، فقد يتأخر النصر والتمكين سنوات طويلة، ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران: ١٤١]، ففرعون لم يهلكه الله إلا بعد سنوات طويلة، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله يقدر علىٰ عبده بعض المشاق، لينيله سرورًا أعظم من ذلك، أو يدفع عنه شرًا أكثر منه، كما قدر علىٰ أم موسىٰ ذلك الحزن الشديد، والهم البليغ، الذي هو وسيلة إلىٰ أن يصل إليها ابنها، علىٰ وجه تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسرورا»[٢].

١١- علىٰ الداعية أن يعلم بأن القوىٰ الدنيوية والمادية ولو قويت وتسلطت وتمكنت فلن تكون أقوىٰ من قوة

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٦١٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٦١٨.

الخالق ﷻ الذي بيده ملكوت السموات والأرض، وأن القوة الحقيقية هي قوة الإيمان بالله، وأنَّ الله مع عبده المؤمن ولو تجرد من جميع القوىٰ المادية.

١٢- أن تدبير بعض الظلمة قد يؤول إلىٰ تدميرهم، ففرعون دبَّر وخطَّط وقتل الذكور من الأطفال خوفًا من الطفل الذي سيأتي ويزول ملكه به، فكانت النتيجة تدميره وإهلاكه علىٰ يديه.

١٣- عناية الله وحفظه وتدبيره لعبده المؤمن الضعيف يتجلىٰ في موسىٰ، فبعد أن كانت أمه خائفة عليه من فرعون وبطشه وجبروته، ردَّه الله عليها بتوصية من فرعون وبأمره وبإشراف منه حتىٰ ترضعه وربما بمقابل علىٰ ذلك، وتحفظه عندها وتقر عينها به في أمان واستقرار، فسبحان من يدبر الأمور وبيده كل شيء.

١٤- وجود الصالحين بين المفسدين نعمة في تخفيف الشر، يقول ابن عاشور رحمه الله: «وجود الصالحين من بين المفسدين يُخفف من لأواء فساد المفسدين، فإنَّ وجود امرأة فرعون كان

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سببًا في صدّ فرعون عن قتل الطفل مع أنه تحقق أنه إسرائيلي، فقالت امرأته لا تقتلوه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذه ولد»[(١)].

١٥- الداعية ولو علم أنَّ الله ناصره ومؤيده، فإنه لا بد له مع ذلك من فعل الأسباب والسعي فيها، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنها: أنَّ العبد ولو عرف أنَّ القضاء والقدر ووعد الله نافذ لا بد منه، فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي أُمر بها، ولا يكون ذلك منافيًا لإيمانه بخبر الله، فإنَّ الله قد وعد أم موسىٰ أن يردّه عليها، ومع ذلك، اجتهدت علىٰ ردِّه، وأرسلت أخته لتقصه وتطلبه»[(٢)].

٢- رب إني ظلمت نفسي

قال تعالىٰ عن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٢٠/ ٨٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٦١٨.

ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٥، ١٦].

دخل موسىٰ عليه السلام المدينة في وقت من الأوقات التي يغفل فيها الناس عن الانتشار، فوجد فيها رجلين يتخاصمان ويتقاتلان، الأول من شيعته أي من قوم موسىٰ عليه السلام من بني إسرائيل، والآخر عدو من قوم فرعون من الأقباط، فاستغاث الإسرائيلي بموسىٰ عليه السلام لأنه من شيعته علىٰ القبطي الذي هو من آل فرعون، فأراد موسىٰ عليه السلام أن يدافع عن الإسرائيلي فضرب القبطي ضربة كانت كفيلة بقتله خطأ، وذلك للقوة التي أعطاها الله لموسىٰ عليه السلام، فندم علىٰ ما فعله، فطلب من ربه المغفرة فغفر له.

من الإضاءات الدعوية:

١- يقول تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ قال القرطبي رحمه الله: «ندم موسىٰ عليه السلام علىٰ ذلك الوكز الذي كان فيه ذهاب النفس، فحمله ندمه علىٰ الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه قال قتادة: عرف والله المخرج فاستغفر،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم لم يزل ﷺ يعدد ذلك علىٰ نفسه، مع علمه بأنه قد غفر له، حتىٰ إنه في القيامة يقول: إني قتلت نفسًا لم أُومر بقتلها، وإنما عدده علىٰ نفسه ذنبًا وقال: «ظلمت نفسي فاغفر لي» من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتىٰ يؤمر، وأيضًا فإن الأنبياء يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم»[(١)].

٢- من صفات الداعية نصرة المظلومين وإغاثة المستغيثين، خاصة إذا طُلب منه ذلك، فيبادر ولا يقف متفرجًا مكتوف اليدين بل يُقدِّم ما في وسعه وقدرته، فقد تكون النصرة بالفعل وإبعاد الظلم عنه، وقد تكون النصرة بدعاء، أو بكلمة، أو مقال، أو رسالة، أو شفاعة، أو غيرها.

٣- علىٰ الداعية أن يضبط نفسه عند الغضب حتىٰ لا يقع في مفسدة أعظم، فقد يريد نصرة المظلوم والدفاع عنه، فيقع في مفسدة أعظم، ويقع هو بنفسه في الظلم، فقد تأخذه الغيرة وربما كرهه للشخص الظالم فيعتدي عليه بكلام واتهام ونحوه.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٦/ ٢٤٧، ٢٤٨.

٤- قد يعذر الداعية فيما يفعله من تصرفات وأفعال خاطئة إذا كان دافعها الخير، ورفع الظلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فموسىٰ عليه السلام وعد ربه بأنه لن يكون ظهيرًا للمجرمين، ومع ذلك رجع وأراد معاونة الرجل مرة أخرىٰ، والسبب أنه لم يصبر علىٰ الظلم والبغي والعدوان الذي وقع علىٰ قومه من بني إسرائيل، فأراد دفع الظلم ونصرة المظلوم ولو بدفع رجل واحد من الظلمة، فلعل ذلك يخفف عنه ما يجده في صدره ونفسه.

٥- الداعية بشر معرَّض للوقوع في المعصية والخطأ بطبيعة النفس البشرية، فالواجب عليه عند وقوعه في الخطأ جاهلًا أو ناسيًا أو حتىٰ متعمدًا أن يبادر للتوبة والاستغفار والتوجه إلىٰ ربه الغفار، معترفًا بذنبه ومعصيته نادمًا علىٰ ذلك، ولا تأخذ الداعية العزة بالإثم، فيصر علىٰ فعلته، ويعاند ويكابر، بل يعترف ويعود.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- فلن أكون ظهيرًا للمجرمين

قال تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: ١٧].

بعد أن قتل موسىٰ عليه السلام القبطي خطأً دعا ربه أن يغفر له فغفر له، ثم قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ أي بالتوبة والنعم الكثيرة، فلن أكون بعد ذلك ظهيرًا ومعينًا للمجرمين، أي لا أعين أحدًا علىٰ معصية، وهذا وعد من موسىٰ عليه السلام بسبب منَّة الله عليه، أن لا يُعين مجرمًا، كما فعل في قتل القبطي[(١)].

من الإضاءات الدعوية:

١ علىٰ الداعية أن يحذر من أن يسخِّر نِعم الله عليه من مال وقوة وجاه وغيرها في عون ومظاهرة المجرمين.

٢- بعض الدعاة أنعم الله عليه بالعلم والفهم والعقل، فسخَّروا ذلك -نسأل الله العفو والسلامة- في محاولة تشريع المنكرات التي يريدها المجرمون، فأيَّدوهم ووافقوهم في

---

(١) وقيل بأن الإسرائيلي الذي استغاث بموسىٰ علىٰ الفرعوني كان كافرًا وليس بمؤمن، فموسىٰ دافع عن الإسرائيلي وقتل الفرعوني القبطي.

منهجهم، فأصبحوا يبحثون عن الحجج والبراهين الباطلة ليؤيدوا بها باطلهم، مستغلين ما تعلَّموه من علم وفقه وشبهات وأقوال شاذة، وأصبح بعضهم أداة في أيدي المجرمين يحركونهم كيف شاءوا، مستغلين علمهم وشهرتهم ومكانتهم.

٣- علىٰ الداعية أن يحذر أن يكون ظهيرًا للمجرمين، ولو كان المجرم قريبًا له أو من قبيلته وعشيرته وعلىٰ منهجه ودينه، ولو كان الطرف الآخر علىٰ غير دينه، فالواجب العدل والإنصاف ولو كان الخصم بغيضًا ومخالفًا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨].

٤- وجاء رجل من أقصى المدينة

قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص: ٢٠، ٢١].

عندما انكشف أمر موسىٰ عليه السلام وقتله للقبطي -وهو من أتباع فرعون- أراد فرعون قتله، فجاءه رجل ناصح مجهول

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يُعرف، فنصحه بالهرب والنجاة والخروج من مصر، فاستجاب له، وخرج منها وهو خائف يترقب ويتلفت، ثم دعا ربه أن يُنجيه من القوم الظالمين فرعون وقومه.

من الإضاءات الدعوية:

١- موسىٰ عليه السلام سيِّد المتوكلين، ومع ذلك اتخذ الأسباب التي تُنجيه من القتل، فخرج هاربًا من وطنه فريدًا وحيدًا، فاتخاذ الأسباب هو من التوكل علىٰ الله، وهي من الأمور المشروعة التي لا تقدح في توكل العبد ولا تُؤثِّر.

٢- الداعية عليه أن يتوكل علىٰ ربه ويُوجه قلبه إليه، ويجعل اعتماده عليه، ومع ذلك يتخذ الأسباب في كل شيء، فالتوكل علىٰ الله مع ترك الأسباب تواكلٌ وليس توكلًا.

٣- الداعية دائم التعلق بربه في كل حدث ومصيبة تقع عليه، وكل عقبة تمر به، فيتوجه إلىٰ ربه بالدعاء وإقبال القلب عليه، فموسىٰ عليه السلام عند خروجه وهروبه قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ فأنجاه الله، ثم دعا فقال: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ فهداه الله لأفضل السبل والطرق.

٤- الداعية عليه أن لا يحتقر كلمة أو نصيحة أو موعظة يعظ بها الآخرين ولو كانت قصيرة يسيرة، فقد تقع في القلب فينتفع بها الآخرون، فهذا الرجل الناصح مجهول لم يذكر الله اسمه ولا نسبه نصح موسىٰ عليه السلام، فاستجاب له موسىٰ وقبل نصيحته مباشرة فنجَّاه الله من فرعون.

٥- علىٰ الداعية أن يقبل النصيحة ولو من رجل مجهول لا يعرفه، أو من مقصر، بل من العاصي كذلك، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها.

٦- قد يتحمل الداعية المشاق والمتاعب في سبيل دعوته، ودفاعه عن المظلومين، وتقديم نصيحته، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فقال تعالىٰ عن هذا الرجل ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾ أي من مكان بعيد.

٧- الداعية مبادر لفعل الخير مسارع له، خاصة في بعض المواقف التي تحتاج إلىٰ مسارعة، فهذ الرجل الداعية ذكر الله عنه أنه جاء ﴿يَسْعَىٰ﴾، فقد يسمع الداعية عن بعض المشاريع التي تحتاج إلىٰ من يقوم عليها ويبادر بها، وبعضها

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قد تكون فرصة لا تعوض ينبغي استثمارها، أو ربما طلب منه إلقاء كلمة أو لقاء ولا يوجد غيره، فالداعية الموفق يسارع ويجيب ويبادر ولا يعتذر.

٨- يحتاج الداعية أن يبين سبب أمره ونهيه للمدعو ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾، وفي بعض المواقف يحتاج كذلك أن يصرح لمن يدعوهم أنه من الناصحين، أي يحب الخير لهم ويريد نصيحتهم، ولا يريد أمرًا آخر غير ذلك، لأنَّ بعض المدعوين قد يفهم أن نصيحة الداعية لهم من أجل مصلحة ما، أو يريد أن يتأمَّر عليهم أو مجرد أمر ونهي، فمثلًا الوالد مع ولده قد يأمره وينهاه عن أمر محرم، فيظن الولد أن والده يريد أن يتسلط عليه ويكون آمرًا له، فيحتاج في مثل هذه المواقف أن يبين له سبب ذلك، وأنه ما فعل ذلك إلا لأنه ناصح ومحبًا للخير له، بل وجميل أيضًا أن تخص النصيحة بكلمة «لك»، كما قال هذا الرجل ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ ولم يقل إني من الناصحين فقط، فتخصيص النصيحة يدل علىٰ مزيد اهتمام بالمنصوح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٥- عسى ربي أن يهديني

قال تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص: ٢٢].

موسىٰ عليه السلام خرج من مصر وحيدًا فريدًا تائهًا حائرًا هاربًا من فرعون وجنوده، ولا يعلم أين يتجه؟ وماذا يفعل؟ فتوجه مباشرة إلىٰ ربه عزوجل داعيًا له قائلا: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، فاستجاب الله دعاءه بعد ذلك وهداه لأفضل السبل وأحسنها، فرزقه بعد ذلك مأوىٰ ومسكنًا وزوجة صالحة حيية، ووظيفة، ثم أعظمها رزقه النبوة والرسالة.

من الإضاءات الدعوية:

١- الداعية دائم التعلق بالله عزوجل يدعو ربه في كل وقت وحين، فموسىٰ عليه السلام دعا ربه وهو يمشي متوجهًا لمدين، فلا يدري العبد لعل دعوة تستجاب منه، فيسعد بها في دنياه وآخرته، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «خرج موسىٰ ولا علم له بالطريق إلا حُسن ظن بربه»[(١)].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٢٠/ ٩٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- قد تغلق في وجه الداعية أبواب الدنيا كلها، ويجتمع عليه الأعداء والخصوم، ومع ذلك فلا ييأس ولا يقلق، ويتوجه إلىٰ خالق الدنيا وما فيها، من بيده ملكوت السموات والأرض، ويسأله الفرج والسداد، فبيده مفاتيح الفرج سبحانه.

٣- قد يقع الداعية في حيرة وتردد في أمر ما من أمور الدنيا أو من أمور الدعوة، فعليه أن يلتجئ إلىٰ ربه الهادي جل وعلا، ويتوجه إليه ويسأله أن يختار له الصلاح والخير، ويدله إلىٰ سواء السبيل، فيردد: «رب اهدني إلىٰ سواء السبيل»، ويدعو الله باسمه الهادي فيقول: اللهم يا هادي اهدني للحق واهدني لما فيه خير ورشاد، وكان من دعاء النبي ﷺ عندما يفتتح قيام الليل: «اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم»[(١)].

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٧٠).

٦- ما خطبكما

قال تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤].

عندما وصل موسىٰ عليه السلام إلىٰ مدين هاربًا من مصر وجد مجموعة من الناس يسقون أغنامهم، ومن بينهم امرأتين تُبعدان أغنامهما عن السقي، فسألهما عن سبب ذلك، فأخبراه أنهما لا يسقيان أغنامهما إلا بعد انتهاء القوم، فقام موسىٰ عليه السلام بمساعدتهما فسقىٰ لهما ثم انصرف إلىٰ مكان ظليل يستظل فيه، وأخذ يشكو حاله لربه عز وجل، ويخبره بأنه فقير ضعيف محتاج للخير الذي عند ربه.

من الإضاءات الدعوية:

١- ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ قال ابن عطية رحمه الله: «أي ما أمركما وشأنكما، وكان استعمال السؤال بالخطب إنما هو في مُصاب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أو مُضطهد، أو من يُشفق عليه، أو يأتي بمنكر من الأمر، فكأنه بالجملة في شرّ، فأخبرتاه بخبرهما»[١].

١- من صفات الداعية المبادرة والمسارعة إلىٰ فعل الخير قبل أن يُطلب منه، خاصة إذا رأىٰ من هو محتاج ولا يقدر علىٰ فعل ما يريده، كالمرأة الضعيفة وكبير السن وغيرهم، لأن بعض الناس قد يمنعه من السؤال مانع، إما الحياء أو عزة النفس، ومساعدة الناس وقضاء حوائجهم من أعظم الطاعات والقربات عند الله.

٢- الداعية يبادر إلىٰ مساعدة المرأة إذا وجدها بين الرجال تريد قضاء حاجة لها، وذلك حفظًا لها من الاختلاط بالرجال، وحفظًا لحيائها من الانكسار.

٣- الداعية ليست مهمته الدعوة والتعليم والنصيحة فقط، بل مما ينبغي عليه فعله مساعدة الآخرين ومعاونتهم في أمور حياتهم، فيساعد المحتاج، ويُغيث الملهوف، ويقضي حاجة الضعيف، كما فعل موسىٰ مع الفتاتين حيث قام برفع الحجر

(١) المحرر الوجيز لابن عطية: ٤/ ٢٨٣.

ومساعدتهما في سقي الغنم، وهذا العمل فيه فوائد منها تواضع الداعية، ومحبة الناس له، وكسبه للأجور العظيمة التي وردت في فضل نفع الناس، وسهولة قبول دعوته للناس بعد ذلك.

٤- الداعية يساعد من يعرفه ومن لا يعرفه، فهو يرجو الأجر والثواب من الله عَزَّوَجَلَّ.

٥- الكريم صاحب الخلق الحسن يبذل ويساعد الآخرين مهما كانت الظروف حوله؛ لأن الخُلق متجذر في نفسه، فموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ خرج هاربًا خائفًا فقيرًا لا مأوىٰ ولا مسكن، في همّ وغمّ، ومع ذلك لم تمنعه تلك الظروف من إغاثة الملهوف ومساعدة المحتاج.

٦- علىٰ الداعية أن يرجو ويطلب بعمله ومساعدته للناس الأجر والثواب من الله عَزَّوَجَلَّ، فلا ينتظر كلمة شكر، أو ثناء ومدح، أو مقابلًا ماديًا علىٰ ذلك، فأجره علىٰ الله، ولو سمع مثل ذلك، فلا بأس وهو خير، لكنه لا يتطلع إلىٰ ذلك ولا يبحث عنه، فموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ سقىٰ لهما ثم تولىٰ وابتعد عنهما وتوجه إلىٰ ربه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٧- الداعية دائمًا يُظهر الافتقار والالتجاء والضعف إلىٰ ربه ﷻ، قال موسىٰ عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ أي إنني محتاج إلىٰ ما عندك من خير يا رب، وفقير إليك، وهذا سؤال العبد بحاله، فالله ﷻ يحب من عبده أن يدعوه ويشرح له حاله وحزنه وما أصابه متضرعًا مشتكيًا إليه، قال ابن عاشور رحمه الله: «لما استراح من مشقة المتح والسقي لماشية المرأتين والاقتحام بها في عدد الرعاء العديد، ووجد برد الظل تذكر بهذه النعمة نعمًا سابقة أسداها الله إليه من نجاته من القتل وإيتائه الحكمة والعلم، وتخليصه من تبعة قتل القبطي، وإيصاله إلىٰ أرض معمورة بأمة عظيمة بعد أن قطع فيافي ومفازات، تذكر جميع ذلك وهو في نعمة برد الظل والراحة من التعب فجاء بجملة جامعة للشكر والثناء والدعاء وهي ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾»[1].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٢٠/ ١٠٢.

٧- قال لا تخف

قال تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: ٢٥].

عندما سقىٰ موسىٰ عليه السلام للفتاتين أراد والدهما شكره ومساعدته، فبعث إحدىٰ الفتاتين لدعوته وكانت متصفة بخلق الحياء، وأخبرت موسىٰ بأن أباها يدعوه ليعطيه أجر ما قام به من سقاية الأغنام، فعندما وصل موسىٰ إليه وقص عليه خبره وقصته، طمأنه والد الفتاتين وأخبره بأنه في مأمن فلا داعي للخوف، وبشره بأنه قد نجىٰ من القوم الظالمين من فرعون وقومه.

من الإضاءات الدعوية:

١- من أعظم الصفات التي ذكرها الله في قصة فتاة مدين، اتصافها بخلق الحياء، فوصفها الله بهذا الخلق العظيم ﴿تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾، والسين والتاء إذا دخلت علىٰ الفعل تُفيد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الطلب، فكأنها تطلب الحياء من جميع أشكاله، حياء عند مجيئها، وفي مشيتها، وفي كلامها، وفي حجابها، وحياء قبل ذلك في عدم مخالطتها هي وأختها الرجال، وتنكير استحياء للتفخيم، فهي بعيدة كل البعد عن التبرج في اللباس، والتغنج في الكلام، وهذا هو الذي يجب علىٰ جميع النساء الاتصاف به، قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان الحياء كأنه مركب لها وهي متمكنة منه، مالكة لزمامه، عبَّر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي:حياء موجود منها؛لأنها كلفت الإتيان إلىٰ رجل أجنبي؛تكلمه، وتماشيه»[1].

٢- عندما دعت هذه الفتاة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبرته بأنَّ أباها هو من دعاه وليست هي، حتىٰ لا يدخل في نفسه الشك والريبة، ثم بيَّنت له سبب طلب أبيها له أنه يريد أن يعطيه أجر السقيا حتىٰ لا يظن أنه يمنُّ عليه بالعطاء.

٣- إن تحصيل الأمن وتحقيقه قد يكون أعظم من الطعام والشراب، فوالد الفتاتين أول ما قص عليه موسىٰ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ١٤/ ٢٦٨.

قصته قال له: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، فبشره أول بشارة بحصول الأمن له وطرد الخوف عنه، ونجاته من فرعون وقومه، قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان من المعلوم أنه لا عِيشة لخائف، فكان أهم ما إلىٰ الإنسان الأمان، قدَّم له التأمين بأن قال: أي شعيب له: ﴿لَا تَخَفْ﴾ أي فإنَّ فرعون لا سلطان له علىٰ ما ههنا، ولأن عادة الله تعالىٰ جرت أن تواضعك هذا ما كان في أحد إلا قضىٰ الله برفعته، ولذلك كانت النتيجة: ﴿نَجَوْتَ﴾ أي يا موسىٰ ﴿مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾»[1]، وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعاءه قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، فبدأ بطلب الأمن من الله قبل الطعام والشراب، وذلك لأهميته العظمىٰ.

٨- القوي الأمين

قال تعالىٰ عن فتاتَيْ مدين: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦].

اقترحت إحدىٰ ابنتي شعيب أن يستأجر أبوها موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٥/ ٤٧٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

للعمل لديه حتىٰ يقوم بالخدمة وسقي الغنم بدلًا منهما، وذكرت لأبيها بعض ما رأته من صفات حسنة تميز بها موسىٰ عليه السلام عن غيره ترشحه ليكون عاملًا لديهم، ومن بين تلك الصفات القوة والأمانة، فإن القوة تمثلت في رفعه للحجر الذي علىٰ البئر ولا يرفعه إلا الرجال الأشداء، وأما الأمانة فلأنه حفظ بصره عنها عندما دعته لمقابلة أبيها، فقيل بأنه مشىٰ أمامها وهي خلفه حتىٰ لا يراها، وأخبرها بأن ترمي بالحصاة إن أخطأ الطريق.

من الإضاءات الدعوية:

١- القوة والأمانة من أهم الصفات التي ينبغي توفرها في الأجير والموظف، والداعية أولىٰ الناس بذلك، فبهما ينجح العمل وينجز، وتُحفظ الحقوق، ويُصان المال والعمل من الخيانة، قال السعدي رحمه الله: «وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولىٰ للإنسان عملًا بإجارة أو غيرها، فإنَّ الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٦١٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ أي اجعله أجيرًا لك إنَّ خير من استأجرت القوي الأمين هذا الكلام حكمة جامعة بليغة، رُوي أنَّ أباها قال لها من أين عرفت قوته وأمانته، قالت: أمَّا قوته ففي رفعه الحجر عن فم البئر، وأمَّا أمانته فإنه لم ينظر إليَّ»[(١)].

٢- من صفات الداعية القوة والأمانة، القوة في الحق، والقوة في العمل، والقوة في إنجاز المهمات الموكلة إليه، وإتمام العمل علىٰ الوجه المطلوب، والأمانة في كل شيء، أمانة في قول الحق وعدم كتمانه، أمانة في التعامل مع الآخرين، أمانة في حفظه لبصره وجوارحه عن المحرمات، أمانة في حفظ حقوق الآخرين وأموالهم، أمانة في وظيفته وعمله، فالداعية يُنظر إليه من قِبل الآخرين بأنه أمين يخاف الله ويخشاه، فغالبًا ما يثقون فيه، فلا ينبغي أن يزعزع ثقة الناس به ويُخيِّب ظنونهم، وقبل ذلك هو يفعل هذا الأمر خوفًا من الله ومراقبة له.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي:٢/ ١٤٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٩- خذها ولا تخف

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه: ١٩-٢١].

أمر الله عَزَّوَجَلَّ موسىٰ بإلقاء عصاه، فانقلبت وتحولت إلىٰ حية تمشي وتسعىٰ، فخاف عَلَيْهِ السَّلَامُ منها، فأمره الله أن يأخذ عصاه مرة أخرىٰ ولا يخاف، فإنه سيُعدها كما كانت من قبل عصاة ساكنة.

من الإضاءات الدعوية:

١- أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يطمئِن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما رآه خائفًا وجلًا من رؤيته للعصا وهي تنقلب حية تسعىٰ، فقال له: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ﴾ وقال في آية أخرىٰ: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ وقال: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾.

٢- يحتاج الداعية إلىٰ التَّطمين، تطمين نفوس الآخرين وتهدأتها، وبثّ الأمان فيها، فيُطَمئِن نفس العاصي إذا رآه قد قنط من رحمة ربه وأيِس منها، فيُذكره برحمة الله

ومغفرته، ويُطَمئِن قلب كل من وقع في مصيبة وهم وحزن ومرض، فيُذكره بفضل الصبر، واحتساب الأجر، والرضا بقضاء الله وقدره.

٣- التطمين يساعد الدعاة في أداء مهمتهم وعملهم بيسر وسهولة، وخاصة إذا كان صعبًا ويترتب عليه بعض المخاوف والمشاق.

٤- التطمين يحتاجه الداعية مع أهل بيته من زوجة وأولاد، يُزيل عنهم كل خوف، ويبُث في نفوسهم الأمن والأمان، ولو وقع أحد منهم في خطأ، بادر لتطمينه والعفو عنه، والأخذ بيده لبر النجاة والأمان.

١٠ - قال رب اشرح لي صدري

قال تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ [طه: ٣٤-٣٦].

عندما بعث الله موسىٰ عليه السلام رسولًا نبيًا أمره أن يذهب إلىٰ فرعون الطاغية لدعوته، فدعا موسىٰ عليه السلام ربه حينئذ بدعوات مباركات، فدعاه بانشراح الصدر، وتيسير الأمر، وسأله أن يحل عقدة[1] كانت في لسانه كانت تمنعه من إيضاح الكلام وإفهامه للآخرين، وأن يجعل له معينًا ووزيرًا معه أخاه هارون حتىٰ يؤازره ويشركه في دعوته، ويكون معينًا له علىٰ طاعة ربه وذكرِه له سبحانه، فبشَّره ربه بعدها بأنه قد استجاب دعوته كلها[2]، وأجابه ما سأله وطلبه.

---

(١) **قال ابن كثير في تفسيره** (٥ / ٢٨٠): «لما كان أصابه من اللثغ حين عرض عليه التمرة والجمرة، فأخذ الجمرة فوضعها علىٰ لسانه..»، **وقال السعدي في تفسيره** (١ / ٥٠٤): «وكان في لسانه ثقل لا يكاد يفهم عنه الكلام»، **وقال الشيخ ابن عثيمين**: «والصواب أنَّ هذه العلة من أصل الخلقة وليس هناك تمرة ولا جمرة» تفسير سورة القصص صوتي، وقال في موضع آخر مستنكرًا ما ذكر: كيف به يأخذ التمرة بيده ولم تحرق يده».

(٢) ومن ذلك أنه استجاب له فحل العقدة التي كانت في لسانه.

من الإضاءات الدعوية:

١- أهمية تعلق الداعية بربه ودعاءه له في كل أمور حياته وطلبه المعونة منه، فالعبد ضعيف بنفسه ولو كان نبيًا رسولًا، فهو في حاجة دائمة إلىٰ التوجه إلىٰ ربه في كل وقت وحين.

٢- دعا موسىٰ ربه بأول دعاء له وهو انشراح الصدر، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾﴾ أي: وسِّعه وأفسحه، لأتحمَّل الأذىٰ القولي والفعلي، ولا يتكدَّر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإنَّ الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم»[(١)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا سؤال من موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لربه عَزَّوَجَلَّ، أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم، وخطب جسيم، بعثه إلىٰ أعظم ملك علىٰ وجه الأرض إذ ذاك، وأجبرهم، وأشدهم كفرًا، وأكثرهم جنودًا، وأعمرهم ملكًا، وأطغاهم وأبلغهم تمردًا، بلغ من أمره أن

(١) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للسعدي: ٥٠٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ادَّعىٰ أنه لا يعرف الله، ولا يعلم لرعاياه إلهًا غيره»[(١)].

٣- الداعية لا بد له من انشراح الصدر عند دعوته حتىٰ يتحمل أذىٰ الناس، وسخريتهم واتهاماتهم وسبَّهم، وعدمَ قبول دعوته وردَّها، بل مع من هم معه في حقل الدعوة من الدعاة والعاملين يحتاج إلىٰ سعة الصدر عند المناقشات والخلافات، ويحتاج إلىٰ ذلك عند رؤية المنكرات ومشاهدتها، فقد تأخذه الغيرة الشديدة وضيق الصدر إلىٰ ارتكاب ما لا تُحمد عقباه، فيقع في مفسدة أعظم وأكبر.

٤- ثم دعا موسىٰ عليه السلام ربه بتيسير الأمور، فالداعية يحتاج إلىٰ الدعاء بتيسير الأمور كلها في دعوته، ونصيحته، وأسلوبه، وطريقته، ومنهجه، وقبول دعوته، ويحتاج إلىٰ ذلك في أمور دنياه، فالتيسير والتوفيق بيد الله عز وجل.

٥- من الجميل والحسن أن يبدأ الداعية قبل إلقاء كلمة أو خطبة أو درس أو نصيحة أن يدعو ربه بتيسير أمره، وأن يفتح عليه، فيدعوه ويقول: رب يسر لي أمري، ويا فتاح افتح

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥/ ٢٨٢.

علي أبواب الخير وسددني في قولي وارزقني الإخلاص والسداد، وبعد الانتهاء من ذلك يبقىٰ تعلقه بالدعاء فيسأله سبحانه القبول، فتعلق الداعية بالدعاء سبب للتوفيق والإخلاص والتأثير في الناس وقبولهم له.

٦- ثم دعا موسىٰ عليه السلام ربه بأن يحل له عقدة كانت في لسانه حتىٰ يفهموا قوله ويصل ما يريده إليهم بوضوح تام وبمعنىٰ كامل، فعلىٰ الداعية أن يدعو ربه أن يعينه علىٰ إيصال الحق والخير للناس بطريقة سليمة صحيحة واضحة خالية من العوائق حتىٰ تُقبل دعوته وتُفهم ويكون لها الأثر، والداعية كذلك لا يَضيره ولا يَعيبه أن يعترف بجوانب القصور التي لديه، ولا يَنقص ذلك من قدره.

٧- إنَّ وجود مثل هذه العقدة التي كانت عند موسىٰ عليه السلام هو عائق يمنع من إيصال الدعوة للآخرين بطريقة صحيحة مقبولة، لذا طلب من ربه أن يحلها ويزيلها عنه، وهذا يفيد الداعية في أهمية اختيار الأسلوب والوسيلة واللغة والطريقة الأنسب التي يوصل الرسالة بها للمدعوين بطريقة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سليمة، وتجنب كل ما يكون عائقًا عن ذلك ويمنع وصول الرسالة، أو ربما تصل ولكن بطريقة غير كاملة وغير مفهومة، ومن ذلك اختيار عبارات وكلمات غامضة أو أعلىٰ من مستوىٰ المخاطبين، أو موضوع ليس له علاقة بالمدعوين وبعيد كل البعد عنهم، وغير ذلك.

٨- ثم دعا موسىٰ ربه أن يجعل له أخاه هارون وزيرًا معه، فمع أن موسىٰ نبي ورسول مؤيد بالوحي والرسالة، وخصَّه الله بخصائص كثيرة ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤] ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١﴾ [طه: ٤١]، فمع ذلك كله طلب من يُعينه لمساعدته في هذه المهمة، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقًا علىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ في سورة الشعراء ﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ١٣﴾ قال: «ففي هذا دليل علىٰ أنَّ من لا يستقل بأمر، ويخاف من نفسه تقصيرًا، أن يأخذ من يستعين به عليه، ولا يلحقه في ذلك لوم»[(١)]، وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خصَّ هارون لفرط ثقته به، ولأنه كان

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٦/ ١٣.

فصيح اللسان مقوالًا، فكونه من أهله مظنة النصح له، وكونه أخاه أقوىٰ في المناصحة، وكونه الأخ الخاص؛لأنه معلوم عنده بأصالة الرأي»[(١)].

٩- الداعية مهما بلغ من علم ومكانة وجاه وتأثير وفصاحة وبلاغة وقبول لدىٰ الناس فإنه ضعيف يحتاج لمن يعينه ويؤازره في مهمة الدعوة إلىٰ الله ممن هم معه من دعاة وطلبة علم، فالعبد ضعيف بنفسه قوي بإخوانه.

١٠- موسىٰ عليه السلام طلب معينًا له في الدعوة، وهذا دليل علىٰ تواضعه، وحاجته للآخرين، وعدم اغتراره بنفسه.

١١- تعاون الدعاة مع بعضهم البعض، واختيار الداعية لأخ صادق ناصح تقي ليقف معه ويكون له عونًا وسندًا ومشجعًا، كل ذلك مُعين علىٰ الطاعة والعبادة، فالداعية تمر عليه أوقات يضعف فيها ويفتر عن الطاعة، فيحتاج لمعين له ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾، قال البقاعي رحمه الله: «ولما فُهم سؤاله هذا أنَّ له فيه أغراضًا، أشار إلىٰ أنها ليست مقصودة له لأمر يعود علىٰ نفسه بذكر

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٦/ ٢١٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العلة الحقيقية، فقال: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ أي بالقول والفعل بالصلاة وغيرها ﴿كَثِيرًا﴾ فأفصح عن المراد بالمعاضدة إنما هو لتمهيد الطريق إليه سبحانه»[(١)].

١٢- ذِكرُ الله عَزَّوَجَلَّ من أعظم الطاعات التي ينبغي علىٰ الداعية أن يُعلِّق قلبه ولسانه بها، فهو يجعل المرء متعلقًا بربه، دائم الصلة به، فمن أحب شيئًا وتعلق به أكثر مِن ذكره.

١١ - هو أفصح مني لسانًا

قال تعالىٰ عن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص: ٣٤].

عندما أرسل الله موسىٰ إلىٰ فرعون لدعوته إلىٰ عبادة الله طلب موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من ربه عَزَّوَجَلَّ أن يجعل له وزيرا ومعاونًا له في أمر الدعوة واختار أخاه هارون لذلك، وبيَّن سبب اختياره، فهو أفصح منه في الحديث والكلام والدعوة، فيحتاجه معينًا له ومصدِّقًا لما يقوله، فهو يخشىٰ أن يكذبوه ولا يصدقوه.

---

(١) نظم الدرر في تناسق الآيات والسور للبقاعي: ٥/ ١٨.

من الإضاءات الدعوية:

١- من الأخلاق العالية والسامية اعتراف موسىٰ عليه السلام بفضل هارون أخيه عليه في الفصاحة، مع أنَّ موسىٰ أفضل منه بلا شك ومن أولي العزم من الرسل، وهذا يدل علىٰ تواضعه عليه السلام، وحسن خلقه، وإظهار مكانة الآخرين وفضلهم.

٢- من صفات الداعية عدم التكبر علىٰ الآخرين ولو كان أفضل وأعلم منهم، فمن تواضعه أن يُبرز صفات الآخرين الإيجابية ويُثني عليهم، بل قد يقدِّمهم علىٰ نفسه في المكانة إن رأىٰ أنهم أفضل منه في ذلك.

٣- أنَّ من صور التواضع كما ذكر ابن القيم رحمه الله فقال: «وكما أنَّ من تواضع لله رفعه، فكذلك من تكبَّر عن الانقياد للحق أذلَّه الله ووضعه، وصغَّره وحقَّره، ومن تكبَّر عن الانقياد للحق ولو جاءه علىٰ يد صغير، أو من يُبغضه أو يُعاديه، فإنما تكبره علىٰ الله، فإنَّ الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفته ومنه وله، فإذا ردَّه العبد وتكبَّر عن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قبوله: فإنما ردَّ علىٰ الله، وتكبَّر عليه»[(١)]، وما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ أولىٰ الناس بالاتصاف به الداعية.

٤- الداعية يجب أن يعترف بأن غيره قد يكون أفضل منه في تخصصات أخرىٰ، إما شرعية، أو علمية، أو دنيوية، فليس معنىٰ أنه داعية أو طالب علم أنه يعلم كل شيء.

٥- علىٰ الداعية أن يُشرك الآخرين في مجال الدعوة ويستفيد منهم في كل مجال ولو كانوا غير دعاة، فهو محتاج إلىٰ جميع التخصصات التي تخدم مجال الدعوة، من كتابة، وتأليف، وفنون تعامل، ومهارات إلقاء، وتصوير، وإنتاج، وإخراج، وطباعة، وتقنية، وغيرها، فالكل يجتهد في تخصصه للدعوة إلىٰ الله.

٦- من الواجب علىٰ الداعية عند ذكر مسألة ما في مجلس وكان في المجلس من هو من أهل الاختصاص فيها أن يردَّها إليه، ولا يتكلم في كل شيء قد لا يُحسنه، مثل مواضيع السياسة، والاقتصاد، والطب، وغيرها.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم: ٢/ ٣١٧.

٧- اختيار الأشخاص للمهمات والمناصب يكون بناء علىٰ معيار صحيح بحسب المكان الذي سيوضع فيه، وليس بناء علىٰ معايير باطلة كقرابة، أو نسب رفيع، أو معرفة، أو مال، أو غيره، فالاختيار والمنصب أمانة يُوضع فيه من يستحق.

٨- الداعية بمفرده قد يكون ضعيفًا خاصة في بعض المهمات الصعبة التي يحتاج فيها إلىٰ من يثبته، ويعينه، ويقويه، ويشد علىٰ يديه، مثل بعض المناظرات والحوارات مع الآخرين.

١٢ - فقولا له قولًا لينًا

قال تعالىٰ لموسىٰ وهارون عليهما السلام: ﴿اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

عندما أرسل الله موسىٰ وهارون عليهما السلام إلىٰ فرعون لدعوته إلىٰ التوحيد والإيمان بالله أمرهما وحثهما علىٰ دعوته بالرفق واللين بلا فحش في القول، ولا غلظة في الخطاب، فلعله بذلك يتذكر ما ينفعه فيأتيه، أو يخشىٰ ما يضره فيتركه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الإضاءات الدعوية:

١- يعلم الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ فرعون طغىٰ وتجبر، وتجاوز الحد في أفعاله وأقواله، فقد ادعىٰ الربوبية فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وادعىٰ الألوهية فقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾، ومع ذلك يأمر الله موسىٰ وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ باللين والرفق معه؛ لأنَّ ذلك سبب للتذكر والخشية، فالقول اللين لا يُثير العزة بالإثم، ولا يُهيِّج الكبرياء في النفس، بل قد يجعل المرء يتقبل، ويُوقظ قلبه فيتذكر ويخشىٰ، وإذا كان هذا الخطاب موجهًا لأطغىٰ طاغية عرفه التاريخ، وشهد له العالم بذلك، فمن باب أولىٰ أن يكون الداعية رفيقًا لينًا سهلًا مع إخوانه المسلمين العصاة، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال يحي بن معاذ في هذه الآية: هذا رفقك بمن يقول أنا الإله، فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله»(١).

٢- قال الله عَزَّوَجَلَّ في آية أخرىٰ في سورة النازعات: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٨، ١٩].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٤/ ٦٦.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنه أتىٰ بـ«هل» الدالة علىٰ العرض والمشاورة التي لا يشمئز منها أحد، ودعاه إلىٰ التزكِّي والتَّطهر من الأدناس التي أصلها التطهر من الشرك الذي يقبله كل عقل سليم، ولم يقل «أزكيك» بل قال «تزكىٰ» أنت بنفسك»[(١)].

٣- الرفق واللين مدعاة لقبول الحق من الآخرين، وقد قال تعالىٰ لنبيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فمع أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام مؤيَّد بالوحي ومعه القرآن والحجج والبراهين والأدلة الصادقة فمع ذلك كله يُخبره ربه بأنه لو كان فظًّا شديدًا غليظًا علىٰ الناس لتركوه ولم يستجيبوا له، فلذلك أمره باللين والرحمة مع الآخرين.

٤- الداعية يحتاج للرفق واللين مع أقرب الناس إليه

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٥٠٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهم أهل بيته من والديه وزوجته وأولاده، وقد ورد في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: «فإنَّ الله إذا أراد بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق»(١)، ويحتاج للرفق مع إخوانه من الدعاة وطلبة العلم فهم أولىٰ الناس بذلك.

٥- الرفق واللين مفتاح من مفاتيح القلوب، قال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»(٢)، و«شيء» نكرة في سياق النفي تعم كل شيء.

١٣ - وفعلت فعلتك

قال تعالىٰ: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم: (٢٦٦٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٩٤).

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الشعراء: ١٦-٢٠].

أمر الله موسىٰ وهارون عليهما السلام أن يذهبا إلىٰ فرعون يدعوانه إلىٰ عبادة الله عزوجل، ويخبرانه أنهما رسول من عند الله، وأن يترك بني إسرائيل يعبدون الله بلا إيذاء ولا قتل، فعندئذ أجاب فرعون موسىٰ بتذكيره بأنه قد رباه في بيته ومكث لديهم سنين، وذكَّره بما فعله من قتله للقبطي، وهو من الكافرين أي الجاحدين لنعمة فرعون عليه[1]، ثم ردَّ موسىٰ عليه بإقراره لما فعل من قتله للقبطي ولكنه برر فعلته لذلك، فأخبره بأنه فعل ذلك وكان وقتها من الضالين أي من الجاهلين ولم يقصد قتله، وقيل: أي كنت وقتها لست نبيًا ولا رسولًا.

من الإضاءات الدعوية:

١- اعتراف الداعية بخطئه ليس عيبًا ولا نقصًا، بل شجاعةٌ وقوة وتواضع، فموسىٰ عليه السلام اعترف أمام فرعون بأنه

---

(١) قيل: أي من الجاحدين لنعمتي، فقد رباه فرعون في بيته ونشأ عنده، فجحد بهذه النعمة، وقيل: وأنت من الكافرين أي بربك الذي تدعو إليه الآن؛ لأنه في ذلك الوقت لم يكن موسىٰ نبيا ولا رسولا، وقيل: وأنت من الكافرين بإلاهك الذي هو فرعون.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أخطأ عندما قتل القبطي بالخطأ، فطبيعة النفس البشرية الخطأ، ولكنْ هناك فرق بين من يُخطئ ويعترف ويتوب ومن يخطئ ويُصر ويُعاند.

٢- الاعتراف بالخطأ يكسر غرور النفس وكبرياءَها ويضعها في مكانها الصحيح.

٣- بعض الدعاة إن أخطأ ونُبِّه علىٰ خطئه يجادل ويعاند، ويبرر لنفسه وقوعه في الخطأ، ويخلق لنفسه المعاذير، ويظن أن اعترافه بالخطأ قدحٌ في ذاته وشخصه، والواجب عليه أن يعترف ويقر ويستغفر ويتوب، فالاعتراف بالحق فضيلة.

٤- قد يقع الداعية في معصية أو خطأ جهلًا منه من غير قصد، وربما لا يعلم بالحكم الشرعي فيها، فمن الواجب عليه أن يبين للناس ذلك ويعترف بجهله بالحكم الشرعي فيها، أو أنه لم يقصد فعل ذلك.

٥- من وسائل وحيل المخالفين أنهم ينقلون النقاش من أصله ويخرجونه عن هدفه، فقد يبحثون عن زلة للداعية، أو

خطأ وقع فيه سابقًا، أو معصية صدرت منه، فيطرحونه هربًا من النقاش، وضعفًا من الجواب والرد، ومحاولة لإسقاطه وتتبع زلاته، وهذا ما فعله فرعون عندما دعاه موسىٰ للإيمان، هرب من النقاش، وذكر خطأ موسىٰ عليه السلام من قتله للقبطي، ففي مثل هذه الحالات علىٰ الداعية أن يعترف إن كان ما ذكر عنه صحيحًا، وينفي عنه إن كان كذبًا وزورًا، ولكن بدون ذكر للتفاصيل وإطالة في الموضوع، ثم يعود مباشرة للهدف الأصلي من النقاش والدعوة إلىٰ الله، ولا يجعلهم يسترسلون في ذلك.

١٤ - استعينوا بالله واصبروا

قال تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨].

قام موسىٰ عليه السلام ناصحًا قومه داعيًا لهم بالثبات علىٰ ما يلاقونه من فرعون وقومه، فأمرهم بالاستعانة بالله، والتوكل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليه، والصبر علىٰ كل ما يلاقونه من أذىٰ وتعذيب وقتل، ثم بيَّن لهم أنَّ الأرض هي ملك لله وليست لفرعون، فهو سبحانه يخلفها ويُملِّكها من يشاء من عباده، وأنَّ العاقبة في نهاية الأمر والمآل للمؤمنين المتقين.

من الإضاءات الدعوية:

١- الداعية يحتاج إلىٰ تثبيت من معه من إخوانه الدعاة ومن سار علىٰ دربه، وتثبيت المجتمع من حوله خاصة في زمن الفتن الذي يكثر فيه التساقط، والتراجع، والخوف، والانتكاسات، واتباع الأهواء، فيحتاج إلىٰ تذكيرهم بالتعلق بالله والصبر وبيان العاقبة للمتقين الصادقين.

٢- قد تمر بالدعاة وأتباعهم أوقات عصيبة شديدة قد يقع في قلب المرء فيها اليأس بعدم النصر، والانهزام أمام قوىٰ الباطل، فيحتاجون إلىٰ مزيد من الصبر، وتذكير الناس بوعد الله وبثوابه.

١٥ - اذكروا نعمة الله عليكم

قال تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة: ٢٠].

بعد أن نجىٰ الله موسىٰ وقومه من فرعون وقومه، أخذ موسىٰ عليه السلام يُذكِّرهم بنعم الله عليهم، من إرسال الأنبياء إليهم، وجَعْلهم ملوكًا أي كل واحد منهم ملك نفسه بعد أن كان فرعون مستعبدهم، وذكَّرهم بنِعم الله عليهم الكثيرة التي لم يُنعم بها علىٰ أحد من العالمين، وكل ذلك من أجل أن يحثهم علىٰ الجهاد في سبيل الله.

من الإضاءات الدعوية:

١- من وسائل الدعوة تذكير الداعية المدعوين بنعم الله عليهم، وفضله، وإحسانه، سواء كانت نعمًا دنيوية، كالصحة، والعافية، والمال، والأمن والاستقرار، والوظيفة، أو نعمًا دينية كنعمة الإيمان والإسلام، والهداية والتوفيق، فواهب كل هذه النعم هو المستحق للعبادة والطاعة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٦ - لا أملك إلا نفسي وأخي

قال تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة: ٢٥].

عندما أمر موسىٰ عليه السلام قومه بدخول الأرض المقدسة للجهاد في سبيل الله وجد من قومه تخلِّيًا عنه ورفضًا للدخول معه، فتوجه إلىٰ ربه يدعوه ويبين له ضعفه، وقلة حيلته، وأنه لا يملك إلا نفسه وأخاه هارون، ثم دعا عليهم بأن يحكم الله بينهم بأن ينزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمته.

من الإضاءات الدعوية:

١- من صفات الداعية إظهار الفقر والضعف لله عز وجل، والتوجه إليه بالدعاء والتضرع، خاصة في مواطن قد يجد نفسه فيها فريدًا وحيدًا غريبًا قد انصرف الناس وتخلوا عنه، وقد يُخذل في بعض المواقف الحرجة من قبل الآخرين، بل ربما من قبل بعض المقربين له ممن يعملون معه في مجال الدعوة، فعليه في مثل هذه المواقف أن يعلم أن الله معه وناصره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

١٧ - وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

لما أتم الله نعمته علىٰ بني إسرائيل بالنجاة من فرعون، وتمكينهم في الأرض، أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يُتمَّ نعمته عليهم، بإنزال الكتاب الذي فيه الأحكام الشرعية، فواعد الله عَزَّوَجَلَّ موسىٰ ثلاثين ليلة، وأتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة، ليستعد موسىٰ، ويتهيأ لوعد الله، فلما أراد موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الذهاب لمناجاة ربه عَزَّوَجَلَّ جعل أخاه هارون خليفة له في قومه، وأوصاه بأن يُصلحهم ويُرشدهم، ونهاه وحذَّره أن يتبع سبيل المفسدين.

من الإضاءات الدعوية:

١- هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي، ومع ذلك نصحه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ووجَّهه وذكَّره، فقال له: ﴿وَأَصْلِحْ﴾، ثم حذره فقال: ﴿وَلَا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، فقبل هارون عليه السلام النصيحة ولم يردها ويرفضها.

٢- الداعية بحاجة إلىٰ التذكير والنصيحة والموعظة ولو بلغ مبلغًا عظيمًا في الدعوة والعلم والفقه والبلاغة والفصاحة وقبول الناس له، فالنفس البشرية تضعف وتكلّ وتملّ وتحتاج لمن يذكرها ويوجهها.

٣- علىٰ الداعية أن يتقبل النصيحة مهما كانت، فلا يتكبر فيردها، أو يجادل ويعاند، سواء كانت ممن هو أعلىٰ منه منزلة وعلمًا، أو كانت ممن هو أقل منه علمًا ودينًا وفقهًا، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها.

٤- النصيحة قد تثقل علىٰ من كان في قلبه كبر فيردها، لذلك عرَّف ﷺ الكبر فقال: «**الكِبر بطر الحق وغمط الناس**»[(١)]، وقال تعالىٰ عمن يرد الحق: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٧).

١٨ - وألقى الألواح

قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥٠، ١٥١].

عندما ترك موسىٰ عليه السلام قومه مع هارون عليه السلام خليفة له، زين لهم الشيطان، فأضلهم، فعبدوا العجل، فعندما رجع إليهم موسىٰ عليه السلام وعلم بما صنعوا غضب غضبًا شديدًا مما فعلوه من عبادة غير الله عز وجل، ثم من شدة غضبه ألقىٰ الألواح التي فيها التوراة، وقام وأخذ برأس أخيه يجره إليه ظنًا منه أنه قصر معهم، فدافع هارون عليه السلام عن نفسه وأخبره بأنه لم يقصر معهم ولكن القوم استضعفوه وكادوا يقتلونه، ونهاه هارون أن يفعل مثل ذلك أمام القوم حتىٰ لا يشمتوا به ويسخروا منه، ثم علم موسىٰ عليه السلام بتعجله في معاقبة أخيه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قبل أن يسمع منه، فطلب من ربه ﷻ أن يغفر له ولأخيه وأن يدخلهما في رحمته فهو أرحم الراحمين سبحانه.

من الإضاءات الدعوية:

١- الداعية قد تأخذه الغيرة علىٰ دين الله مما يراه من منكرات عظيمات، فيجب عليه أن يضبط نفسه، ويكتم غيظه، ويتصرف بحكمة حتىٰ لا يقع في منكر أعظم.

٢- يجب علىٰ الداعية أن لا يُظهر أيَّ خلاف بينه وبين إخوانه من الدعاة الآخرين أمام الملأ من الناس، فإنَّ مثل ذلك سبب لشماتة الآخرين من الأعداء والمتربصين والخصوم، فالخلاف واقع بلا شك، فالآراء تختلف والاجتهادات تتعدد، ولكن ينبغي أن لا يخرج ذلك كله أمام الملأ وخاصة في الإعلام، فمن المؤسف أن تشاهد بعض الدعاة يتراشقون فيما بينهم عبر مواقع التواصل الحديثة، ويردُّ بعضهم علىٰ بعض عند اختلافهم في بعض المسائل التي يسع فيها الخلاف، حتىٰ لو كان ما ذكره أحدهم شاذًا ومنكرًا، فلا يليق أن يحدث بينهم مثل ذلك، فإن ذلك فرصة

عظيمة وصيد سهل للنيل منهم والشماتة بهم.

٣- أهمية الائتلاف والتعاون بين الدعاة ومحاولة توحيد الصفوف، وتقريب وجهات النظر، والحذر كل الحذر من الخلاف والتفرقة فالخلاف شر وفرقة، والبعد عن التصنيفات الباطلة، فهذا كذا، وهذا من جماعة كذا، وهذا فاسق ضال، وهذا مبتدع، فكم أضرَّت مثل هذه التصنيفات، وشقَّت صفوف الدعاة، وسلَّطت عليهم سهام الأعداء، فانشغلوا فيما بينهم عن هدفهم الأسمىٰ، وغايتهم الكبرىٰ، فوقع النزاع والخلاف، والفشل والضعف، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [آل عمران: ٤٦]، وقد وصىٰ النبي عليه الصلاة والسلام معاذًا وأبا موسىٰ الأشعري عندما بعثهما إلىٰ اليمن فقال لهما: «**وتطاوعا ولا تختلفا**»[(١)]، ولو وقع الخلاف فيجب معالجته بالطريقة الشرعية الأسلم والأفضل، بعيدًا عن القذف والتجريح، والتبديع والتفسيق، والغيبة والاتهام.

---

(١) رواه مسلم برقم: (١٧٣٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- من صفات الداعية التريُّث والتُّؤدة قبل الحكم علىٰ الآخرين، فعليه أن لا يستعجل في الحكم قبل أن يسمع منهم، وأن يعرف مبرراتهم وأعذارهم قبل أن يعاقبهم أو يعاتبهم فيجعلهم مع الظالمين ويكون هو كذلك منهم؛ لأنه تعدىٰ علىٰ الآخرين، فيندم بعد ذلك.

٥- إذا علم الداعية بخطئه فعليه أن يرجع ويعترف بذلك، ولا يصر علىٰ الخطأ وعلىٰ رأيه، ويطلب من ربه المغفرة والرحمات، فالداعية أوَّاب رجاع إلىٰ الحق، فمتىٰ ذكِّر تذكَّر، ومتىٰ وعظ اتَّعظ، فلا يعاند ولا يجادل ولا يبرر خطأه، ولو كان من كان.

٦- الداعية إن وقع منه خطأ تجاه إخوانه وندم وعاد فما أجمل أن يدعو بهذا الدعاء ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾، يطلب المغفرة له ولإخوانه مما وقع فيه من خطأ، فالدعاء كالبلسم علىٰ القلوب يمحو ما علق بها من أمراض وآفات، فيرجع القلب صافيا نقيًا تجاه الآخرين.

٧- قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في قول موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾: «العجلة التقدُّم بالشيء قبل وقته، وهي مذمومة، والسرعة عمل الشيء في أول وقته، وهي محمودة»[1].

١٩ - أتتخذنا هزوا

قال تعالىٰ عن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة: ٦٧].

عندما قُتل رجل في بني إسرائيل اختلفوا من الذي قتله، فذهبوا إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ليبين لهم من القاتل، فأمرهم بأمر ربه أن يذبحوا بقرة إذا أرادوا معرفة القاتل، فظنوا أنه يستهزئ بهم ويسخر منهم؛ لأنه لا علاقة بين معرفة القاتل وذبح البقرة في الظاهر، فردوا عليه: أتتخذنا هزوا؟ فأجابهم موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه معاذ الله أن يكون من الجاهلين المستهزئين بالآخرين.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٩/ ٣٣٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الإضاءات الدعوية:

١- الاستهزاء بالآخرين والسخرية منهم ليست من صفات الداعية، وهي من الصفات الذميمة، لذلك نفىٰ موسىٰ عليه السلام عن نفسه أن تكون فيه هذه الصفة التي هي من صفات الجاهلين، قال ابن عاشور رحمه الله: «وقول موسىٰ: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين تبرؤ وتنزُّه عن الهُزء؛ لأنه لا يليق بالعقلاء الأفاضل، فإنه أخص من المزح؛ لأن في الهزؤ مزحًا مع استخفاف واحتقار للمزوح معه علىٰ أنَّ المزح لا يليق في المجامع العامة والخطابة،... وبالغ في التنزه بقوله أعوذ بالله أي منه لأن العياذ بالله أبلغ كلمات النفي، فإن المرء لا يعوذ بالله إلا إذا أراد التغلب علىٰ أمر عظيم لا يغلبه إلا الله تعالىٰ»[(١)].

٢- قد يتعرض الداعية من قبل الآخرين لشيء من الجهل، فقد يسمع استهزاء وسخرية به، تصريحًا أو تلميحًا، أو يسمع نقدًا مستفزًا له، أو سوء أدب معه، فقد لا يضبط نفسه ويريد أن يرد عليهم بمثل ردِّهم، فيقع في مثل ما وقعوا

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١/ ٥٤٨.

فيه من الجهل والسفه، والواجب عليه أن يحفظ لسانه وقلمه عن مثل ذلك، ويكون كما قال موسىٰ عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾، ويمكن الرد عليهم بأدب وعلم ورفق، فيحصل بذلك المقصود، ويحفظ خلقه ومكانته.

٣- قد يدخل بعض الدعاة مع الآخرين من أصحاب الأفكار المنحرفة والمخالفين له في نقاشات وردود، ولا ريب أنَّ بعض المخالفين قد يغلظ في القول، ويخرج عن حدود النقاش، فيسب ويستهزئ، ويجرح، ويتشمت، ويتصيد، ويفعل أفعال الجاهلين، فحينها قد تأخذ بعض الدعاة الغيرة إما دفاعًا عن ذواتهم، أو غيرة ودفاعًا عن دينهم، فيسقطون في الرد ويقعون في الجهل، ظنًا منهم أنَّ مثل هؤلاء لا بد من الغلظة عليهم، والرد عليهم بمثل ردِّهم الجارح والقبيح والسيء، وقد يشغلهم الرد والدفاع عن اختيار الأسلوب المناسب والكلام الحق البين العادل.

خامسًا: عيسى عليه السلام

١- اذكر نعمتي عليك.

٢- وإذ أوحيت إلىٰ الحواريين.

٣- ربنا أنزل علينا مائدة من السماء.

٤- تعلم ما في نفسي.

٥- أن اعبدوا الله ربي وربكم.

٦- وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

٧- وجعلني مباركًا أينما كنت.

٨- ومبشرًا برسول.

١- اذكر نعمتي عليك

يقول تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠].

يُذكِّر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بما أنعم عليه من نعم لم يُنعم بها علىٰ أحد من قبله من الأنبياء ولا المرسلين، فالله يريد منه أن يذكر هذه النِّعم بقلبه وبلسانه وأن يقوم بواجبها من الشُّكر، ومن تلك النِّعم نعمته علىٰ أمِّه حيث جعله الله برهانًا علىٰ براءتها من تهمة الفاحشة عندما تكلم في المهد، ومن تلك النعم أنه سبحانه أيَّده بروح القدس وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن النعم والمعجزات أنه جعله ينطق في صغره وهو ما زال

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طفلًا ببراءة أمه وبأنه عبد لله ونبي له، ويتحدث في كهولته بالدعوة إلىٰ الله، وعلَّمه سبحانه الكتاب والحكمة أي الخط والفهم، والتوراة كذلك وهي الكتاب المنزل علىٰ موسىٰ عليه السلام، ومن النعم والمعجزات التي أيَّده بها أنه جعله يصوِّر الطين ويُشكله ثم ينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، وجعله يشفي من به برص وهو مرض في الجلد، ويشفي الأكمه وهو من وُلد أعمىٰ، وقيل: هو من لا بصر له ولا عين، وكل ذلك بإذن الله، ومن المعجزات كذلك إحياء الموتىٰ من قبورهم وإخراجهم أحياء بقدرة الله ومشيئته، ومن النعم أنه سبحانه كفَّ بني إسرائيل عنه بعدما جاءهم بالبينات والحجج والمعجزات، واتهموه بأنه ساحر مبين، فأرادوا قتله فرفعه إلىٰ السماء ونجاه منهم.

من الإضاءات الدعوية:

١- أنَّ الله عز وجل طلب من عيسىٰ عليه السلام أن يتذكر النِّعم العظام التي أنعم بها عليه من معجزات وغيرها، ومنها نعمة الكتابة والحكمة والعلم والتوراة.

٢- في هذه الآية كرر الله عزو جل بعد كل معجزة وآية قوله: ﴿بِإِذْنِي﴾ قال ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿بِإِذْنِي﴾ كرره مع كل معجزة ردًّا علىٰ من نسب الربوبية إلىٰ عيسىٰ»[(١)].

٣- من النعم التي اختص الله بها الداعية اصطفاؤه علىٰ الآخرين، وجعلُه مُبلِّغًا عن الله، وقائمًا بوظيفة الأنبياء، وداعية لله، وقائد الناس إلىٰ الجنان، ومحذرهم من النيران.

٤- من النعم علىٰ الداعية أنَّ الله آتاه علمًا وفهمًا وربما زيادة علىٰ ذلك حفظ كتابه العظيم، وقدرة علىٰ مواجهة الناس والإلقاء، وحسن الخطاب والقول، والتأثير في الناس، وربما إقبال الناس عليه، وحبهم له، وتقبلهم لقوله ونصيحته.

٥- من النِّعم علىٰ كثير من الدُّعاة أنَّ الله أظهر للناس حسناتهم وصفاتهم الحسنة، وستر عنهم أخطاءهم وعيوبهم ومعاصيهم.

٦- علىٰ الداعية أن يتذكر تلك النعم كلها صغرت أم كبرت، وأن يحمد الله عليها صباح مساء، وأن يشكر الله عليها

---

(١)- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: ١/ ٢٥٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بلسانه قولًا، وبقلبه استشعارًا، وبجوارحه عملًا، فيزداد فرحًا بها واجتهادًا، وحقيقة الشكر في العبودية كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو ظهور أثر نعمة الله علىٰ لسان عبده: ثناء واعترافًا، وعلىٰ قلبه: شهودًا ومحبة، وعلىٰ جوارحه: انقيادًا وطاعة»[(١)]، وعليه أن يسخر كل نعمة في الدعوة إلىٰ الله، ويتذكر أن باب الدعوة فُتح له، وأُغلق علىٰ الكثير من الناس وحُرموا ما عنده من نعم، يقول تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

٧- أن يحذر الداعية وطالب العلم أن يُسخِّر بعض النِّعم كالعلم وقدرته علىٰ الإقناع وثقة الناس فيه وحبهم إياه في قلب الحقائق، وإظهار الباطل حقًا، والحق باطلًا، فيكون بذلك أداة لأعداء الدِّين من المنافقين بالوقوف معهم وتأييد باطلهم، وقد يفعل ذلك تعمُّدًا إما انتقامًا من البعض، أو لطلب شهرة، أو كسب مال، فإنَّ ذلك واللهِ من أعظم الخزي والخسران والبوار، وقد يقع ذلك من البعض - أي من

(١) مدارج السالكين لابن القيم: ٢/ ٢٣٤.

بعض الدعاة - بحسن نية، وغفلة منهم، وعليهم أن ينتبهوا وأن لا يُخدعوا.

٨- علىٰ الداعية أن يُذكِّر الناس بنعم الله عليهم التي لا تحصىٰ ولا تعد، فإنَّ تذكر النِّعم يجعل العبد يُقبل علىٰ المنعم جل وعلا، ويعرف نعمته عليه وتقصيره تجاهه، يقول تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٩]، وعليه أن يحثهم علىٰ شكر هذه النعم بالقول واللسان، والعمل والجوارح بتسخيرها في طاعة الله وعدم معصيته بها، فليس من المروءة أن تُقابل نعمة الله بالإساءة والكفر والمعصية.

٩- عيسىٰ عليه السلام أتىٰ بمعجزات باهرة، فقد تكلم في المهد صبيًا، ويخلق الطير كما شاء وينفخ فيه الروح، ويحيي الموتىٰ من قبورهم، ويشفي الأعمىٰ الذي ولد بلا عين ويرد له بصره وعينه، فمع كل هذه المعجزات والبراهين التي لم تؤتَ لنبي غيره كفر من كفر من قومه، فإذا كان هذا حال النبي ومع معجزات وخوارق فكيف بغيره من الدعاة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠- قد يدعو الداعية ويأتي بالحجج والأدلة الواضحة البينة، ومع ذلك يُكذَّب ولا تقبل دعوته وترفض، فعليه أن لا ييأس فقد سبقه الأنبياء من قبله فكُذِّبوا.

١١- قد يكون الكِبر والعناد -وهذا الغالب على كثير من المدعوين- هو سبب عدم قبول الدعوة ورفضها، فالكثير يردُّون الحق ليس لعدم تصديقهم به، بل لأنهم لا يُريدون أن يُصدِّقوه، وكما قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦].

١٢- من النِّعم التي أنعم الله بها على عيسى عليه السلام وذكَّره بها نعمة كفِّ أذى الناس عنه، فكل داعية يأتي بالبراهين والأدلة يكون عُرضة للإيذاء، وقد يدفع الله عنه الأذى الكثير الذي يُصيبه من الناس، من أذى قولي أو فعلي، وإن وقع له أذى فهو قليل جدًا، وما يزيده ذلك إلا رفعة في الدرجات، وزيادة في الحسنات، ومحبة عند الله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢- وإذ أوحيت إلى الحواريين

يقول تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١].

يذكِّر الله عَزَّوَجَلَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بنعمة أخرىٰ وهي أنه أوحىٰ إلىٰ الحواريين[(١)]، وهم أصحاب عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأتباعه المؤمنون، حيث آمنوا به وبرسوله إيمانًا ظاهرًا وباطنًا.

من الإضاءات الدعوية:

١- يُذكِّر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بنعمة من النعم التي أنعم بها عليه وهي نعمة الأصحاب الأتباع المؤمنين، وهذه من أعظم النعم التي تُعين المرء علىٰ طاعة ربه ودعوته.

٢- علىٰ الداعية أن يستشعر نعمة الله عليه كذلك حيث جعل له أصحابًا أتقياء نصحاء، قد يكونون دعاة مثله، أو مُثبِّتين له ومُعينين له علىٰ طريق الحق، فمن أعظم النعم في

---

(١) قال العلماء: الوحي إما أن يكون وحي إلهام كوحي أم موسىٰ، أو المقصود أن الله أوحىٰ إليهم علىٰ لسان عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا الزمن وفي كل وقت رجل صالح يُعينك علىٰ الحق، كلما نسيت ذكَّرك، وكلما أخطأت وجَّهك، وكلما زللت صوَّبك، وكما قيل: صديقك من صَدَقك لا من صدَّقك.

٣- علىٰ الداعية أن يحرص علىٰ دوام واستمرار هذه النعمة وهي نعمة الأصحاب الأخيار بالتمسك بهم، وإبعاد كل ما فيه خدش وصدع في العلاقة بينه وبينهم، وإبعاد كل وسائل الخلاف والمنازعات والشقاق، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٤- الحرص علىٰ مجالستهم والاستفادة منهم، وتقبل النقد البنَّاء منهم، والنصيحة والمشورة.

٥- أن تكون العلاقة بين الداعية وبينهم لله، فالمجالسة لله، والزيارة لله، والمؤانسة والمحبة في الله، والنصيحة والنقد والتوجيه لله، وهذه هي الأخوة في الله الحقيقية وهي من أعظم القربات والطاعات.

٣- ربنا أنزل علينا مائدة من السماء

يقول تعالىٰ عن عيسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

عندما طلب الحواريون من عيسىٰ عليه السلام أن يطلب من ربه أن ينزل مائدة من السماء استجاب لهم، فدعا ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم عيدًا، أي يكون وقت نزولها عيدًا وموسمًا يتذكرون به هذه الآية العظيمة ولا ينسونها مع مَرِّ السنين، فطلب عيسىٰ عليه السلام نزول المائدة لمصلحة دينية وهي أن تكون آية باقية، ومصلحة دنيوية تكون رزقًا لهم.

من الإضاءات الدعوية:

١- عندما دعا عيسىٰ عليه السلام ربه لم يكتفِ بقوله: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ بل زاد عليها قوله: ﴿رَبَّنَآ﴾، فجمع في الدعاء بين الألوهية والربوبية، جمع بين النِّداء باسم الذَّات وهو اسم الله

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهو الجامع لصفات الجلال، والنِّداء بوصف الربوبية[١]، ولو نظرنا إلىٰ دعاء الأنبياء جميعا لرأينا كثيرًا من دعائهم بدأ بقول: ربنا، رب[٢]، وهذا يدل علىٰ تذلل العبد لربه مهما كانت منزلته وقدره، والرَّب هو الذي يُربِّي عباده بالتدبير وأصناف النعم، ويُربِّي أصفياءه وعباده الصالحين بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاء الأنبياء بهذا الاسم العظيم لأنهم يطلبون منه التربية الخاصة.

---

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقًا علىٰ جمع عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه بين «اللهم» و«ربنا» فقال: «فذكر الأمرين ولم يجيء في القرآن سواه، ولا رأيت أحدا تعرض لهذا ولا نبه عليه، سر عجيب دال علىٰ كمال معرفة المسيح بربه وتعظيمه له، فإن هذا السؤال كان عقيب سؤال قومه له: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾، فخوفهم الله وأعلمهم أن هذا مما لا يليق أن يسأل عنه، وأن الإيمان يرده، فلما ألحوا في الطلب وخاف المسيح أن يداخلهم الشك إن لم يجابوا إلىٰ ما سألوا بدأ في السؤال باسم ﴿ٱللَّهُمَّ﴾..» بدائع الفوائد (٢/ ١٩٣).

(٢) وقد سبق الحديث عن ذلك عند ذكر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٤- تعلم ما في نفسي

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦].

يسأل الله عَزَّوَجَلَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين[1]، هل أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، وهذا فيه تقريع وتهديد للنصارىٰ الذين فعلوا ذلك، فيتبرأ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من هذا القول فيقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾، أي عن هذا الكلام القبيح وعما لا يليق بك، ولا ينبغي أن أقول مثل هذا، ثم قال تأدبًا مع الله: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ يا رب، لأنك تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما نفسك، إنك يا رب علام الغيوب.

---

(١) وبعضهم قالوا: هذا الخطاب في الدنيا حين رفعه إلىٰ السماء الدنيا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الإضاءات الدعوية:

١- عيسىٰ عليه السلام مع أنَّ الله جعل علىٰ يديه معجزات عظيمات لا يقدر عليها إلا الله من إحياء الموتىٰ وخلق الطير -وكل ذلك بإذن الله- فمع ذلك كله تبرأ ممن اتخذه وأمه إلهين من دون الله، لأنه يعلم بأنه عبد ضعيف وبشر من البشر، وما كان ذلك كله من المعجزات إلا بقدرة الخالق جل وعلا، فكيف بغيره من البشر ممن يُدعَوْن من دون الله؟

٢- قد ذمَّ الله الغلو في عيسىٰ عليه السلام وهو المخلوق بكلمة من الله، فكيف الغلو في غيره من شيخ أو عالم أو ولي صالح؟ فعلىٰ الداعية أن يُحذِّر الناس من الغلو في بعض العباد من الصالحين والأتقياء ولو كانوا أنبياء، حيث جعلهم البعض مقصدًا لهم يدعونهم من دون الله في السراء والضراء، فيطلبون منهم الشفاعة، وقضاء الحوائج، والشفاء من الأمراض، والمال والرزق، والمغفرة والرحمة، وكل ذلك شرك صريح بالله عز وجل كما ذكر ذلك الله عز وجل في القرآن[1].

---

(١) في سورة فاطر قال تعالىٰ: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ =

٣- ينبغي علىٰ الداعية أن يُنزِّه الله عن كل ما لا يليق من نقص وعيب، ويُقدِّسه ويُعظِّمه في كل قول وفعل، وعليه أن يُعظِّم كلامه وكتابه، وأن يكون وقَّافًا عند آيات القرآن مُعظِّمًا مستجيبًا لها، فكل ذلك من تعظيم الله عز وجل، قال القرطبي رحمه الله: «وبدأ بالتسبيح قبل الجواب لأمرين: أحدهما: تنزيهًا له عما أضيف إليه، الثاني: خضوعًا لعزته، وخوفًا من سطوته»(١).

= ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر ١٣، ١٤]، وقال في آية أخرىٰ في النهي عن اتخاذ الشفعاء قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر ٣- ٤]، وذكر ابن كثير في تفسيره وغيره أن معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي: ليشفعوا لنا، ويقربونا عنده منزلة» ٧/ ٨٥.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٨/ ٣٠٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- علىٰ الداعية أن يُكثر من تسبيح الله وتحميده فهي من أعظم الأذكار وأفضلها وأكثرها أجرًا، وأن يقول هذه الكلمة: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ عند كل أمر يستدعي مثل ذلك، عند رؤيته لعظم خلق الله وقوته وقدرته وملكوته وجبروته.

٥- من واجب الداعية ومن أدبه مع الله أن يرد ما يجهله إلىٰ ربه العالم ﷻ، وعليه أن لا يقول علىٰ الله إلا الحق، فإن سُئل عن حكم شرعي ولم يكن لديه علم به فعليه أن يرد أمره لله، وأن يقول: «الله أعلم»، فقد يمنع الخجل بعض الدعاة وطلبة العلم من قول ذلك، خوفًا من انتقاصهم أمام الناس، والقولُ علىٰ الله بغير علم من كبائر الذنوب، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦]، وكلما زاد المرء علمًا عرف قدره ومنزلته وأنه يجهل الكثير مما لا يعلمه، فلذلك يرد العلم لله ﷻ، وقد ورد في صحيح مسلم عن ابن مسعود أنه

قال: «أيها الناس اتقوا الله، من علِم منكم شيئًا، فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول: لما لا يعلم: الله أعلم، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾»[1].

٦- علىٰ الداعية سواء كان إمامًا لمسجد، أو واعظًا، أو غير ذلك أن يعرف قدر نفسه ومقدرته علىٰ الفتوىٰ من عدمها، فمعلوم أنه ليس كل من قام وتحدث أمام الناس وألقىٰ محاضرة وكلمة أنه يُفتي ويرد علىٰ أسئلة الحضور، وهذا يرجع للداعية نفسه إن علم أنَّ لديه القدرة علىٰ الفتوىٰ والإجابة علىٰ أسئلة الناس فليقدم، وإن علم من نفسه أنه لم يصل إلىٰ ذلك، فعليه أن يتقي الله، ويبتعد عن الجواب والرد بلا خجل ولا حياء ويقول: «الله أعلم»، فكل له مجاله وقدرته.

٧- يجب علىٰ الداعية استشعار مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ له في قوله وفعله وفي نيته وسره وعلانيته، فالله عَزَّوَجَلَّ يعلم نية

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٧٩٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الداعية فيما يدعو إليه أمِن أجل الدنيا والناس أمِن أجل الله؟ وهل يقصد بقوله ودعوته اتباع الحق والهدىٰ أم اتباع الناس ورضاهم ومحبتهم وطلب الشهرة في ذلك؟، قال ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾: اعتذار وبراءة من ذلك القول، ووكَّل العلم إلىٰ الله لتظهر براءته؛ لأنَّ الله علم أنه لم يقل ذلك»[(١)].

٨- علىٰ الداعية أن يستشعر دائمًا في كل كلمة ونصيحة ورسالة ودعوة أن الله يعلم ما يُكِن صدره من خير أو شر، ويعلم نيته وقصده، فإن خفي كل ذلك علىٰ الناس فلن يخفىٰ علىٰ عالم الغيب والشهادة علام الغيوب، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩].

٩- أقرَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بما لا يستحق من كون بعضهم اتخذه هو وأمّه إلهين من دون الله، فقال: ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾، وهكذا النبي ﷺ لما قال له رجل: ما شاء

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: ١/ ٢٥٩.

الله وشئت، قال له: «**بل ما شاء الله وحده**»[(١)]، فكل الرسل يعرفون قدر أنفسهم، ويعلمون منزلتهم التي جعلها الله لهم، وهكذا الداعية عليه أن يعرف قدر نفسه، وأنه مهما بلغ من منزلة فهو عبد لله ضعيف محتاج إلىٰ ربه، وعليه أن لا يُعطي نفسه فوق ما تستحق من تبجيل وإكرام وثناء وغير ذلك، وأن يتواضع لغيره مهما كان علمه وقدره.

٥- أن اعبدوا الله ربي وربكم

قال تعالىٰ عن عيسىٰ عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧].

يُجيب عيسىٰ عليه السلام علىٰ سؤال ربه عز وجل السابق مخبرًا أنه ما قال لقومه إلا ما أمره الله به من عبادته وطاعته وإخلاص العبادة له، والمتضمن النهي عن اتخاذه وأمه إلهين من دون الله، وأنه عبد مربوب، فكما أنه ربكم هو ربه كذلك، ثم أخبر بأنه

(١) أخرجه أحمد برقم: (١٩٦٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كان علىٰ قومه شهيدًا طيلة مكثه معهم، وأما بعد وفاته فالله هو الرقيب المطلع عليهم، وهو علىٰ كل شيء شهيد.

من الإضاءات الدعوية:

١- دعوة الخلق أجمعين إلىٰ عبادة الله وتوحيده هو هدف الأنبياء جميعًا، فما من نبي يبعث إلىٰ قومه إلا ويدعوهم إلىٰ عبادة الله، قال عيسىٰ عليه السلام: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾، وقد مر علينا كثيرًا في قصص الأنبياء مثلُ ذلك، ويكفي قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٢- من أهم أولويات الداعية الدعوة إلىٰ توحيد الله وعبادته، وأن يُبيِّن للناس أنَّ المستحق للعبادة هو الله عز وجل وحده، قال عيسىٰ عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ وهذه هي دعوة جميع الأنبياء، الدعوة إلىٰ التوحيد والعقيدة الصحيحة، والداعية يحتاج الاهتمام بمثل ذلك خاصة في بعض البلدان الإسلامية التي يظهر فيها الخلل في التوحيد، ومظاهر الشرك والبدع،

وزيارة الأضرحة والقبور، ودعاء غير الله ﷻ، والتوسل والاستغاثة بالصالحين والأولياء، فالواجب البدء والتركيز علىٰ ذلك، فهو الأساس قبل كل شيء، ولو صحَّ الأساس لصحَّ البناء، فالله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، والواجب دعوتهم بالرفق واللين وبيان العقيدة الصحيحة، وأن يحذر الداعية من أن تأخذه الغيرة، فيغلظ عليهم ويُنكر عليهم بشدة، فيخسرهم وربما يجد قبولًا منهم، وعليه أن يعلم بأنَّ الكثير منهم تلقَّوا مثل ذلك جيلًا عن جيل، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾، وأن يُنكر عليهم بالحكمة وبيان الحق بصورة واضحة[1].

---

(١) إنَّ دعاء غير الله من البشر سواء كان المدعو صالحًا أو وليًا أو نبيًا، فكل ذلك شرك بالله ﷻ، قال تعالىٰ في آيات بينات واضحات في سورة فاطر: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- علىٰ الداعية أن يذكِّر الناس دائمًا بمراقبة الله لهم، ويزرع فيهم الوازع الديني والخوف من الله، وأن يجعل مراقبة الله واطلاعه نصب أعينهم، وأن الله شهيد علىٰ أعمالهم

= ﴿يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ فالله هو الذي له الملك سبحانه، وأما الذين تدعونهم من دونه ملكا أو نبيًا أو وليًا كلهم لايملكون أن يخلقوا قطمير وهو القشرة الرقيقة التي حول نواة التمر، فإذا كانوا لا يملكون أن يخلقوا مثل هذا الأمر اليسير فكيف بغيره؟ ثم بيَّن سبحانه بأنَّ الذين تدعون من دون الله من الأموات فلن يسمعوا دعاءكم، ولو كان فرضًا أن سمعوا فلن يستجيبوا لكم، ثم بيَّن الله ﷻ الحكم الشرعي الواضح البيِّن لمن يدعو غيره فقال: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ فسمىٰ من يدعو غير الله بأنه شرك، ثم بيَّن إلىٰ من يتوجه العبد الضعيف هل يتوجه إلىٰ عبد مثله؟ لا، قال بعدها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ فمن أراد أن يتوجه ويدعو ويطلب الولد، أو المال، أو الشفاء من مرض، أو أي حاجة، فعليه أن يدعو مباشرة ربه الملك سبحانه، فهو من بيده ملكوت السموات والأرض، والخزائن بيده سبحانه، بل إن نبينا محمد ﷺ يقول الله ﷻ عنه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فيكف إذا بغيره من البشر؟

صغيرها وكبيرها حسنها وسيئها، ويحتاج الدعاة مثل ذلك مع أبنائهم وأهليهم، فبعض الناس يخشىٰ من المخلوق ولا يخشىٰ من ربه عَزَّوَجَلَّ.

٦- وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم

يقول تعالىٰ عن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨].

يقول عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه إن تعذب قومي يا رب فإنهم عبادك وأنت أعلم بحالهم فلولا أنهم عاصون متمردون لم تعذبهم، وإن تغفر لهم فمغفرتك صادرة عن كمال قدرة وعزة وحكمة، وليس كمن يعفو ويغفر عن عجز وعدم قدرة.

من الإضاءات الدعوية:

١- في هذه الآية رد المشيئة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فهو بيده كل شيء، المغفرة والعذاب، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، الفعال لما يشاء، ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وتدل علىٰ تفويض الأمور كلها له سبحانه، وقيل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بأن عيسىٰ قال هذا الكلام من باب الاستعطاف لهم والرأفة بهم، وقيل علىٰ وجه التسليم والاستجارة من عذابه.

٢- علىٰ الداعية أن يرُد كل أمر لله، ويُفوض كل أموره صغيرة وكبيرة له سبحانه، ويُسلِّم ويرضىٰ مهما نزل به من مصيبة وبلاء، فهو عبد لربه، فالله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لكمال حكمته، ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ لأنهم عباده.

٣- وردَ أنَّ النبي ﷺ قام ليلة كاملة حتىٰ أصبح يردد هذه الآية[1]، وهذا يدل علىٰ شفقته بأمته ورحمته بهم وخوفه عليهم، والداعية أولىٰ الناس بالشفقة والرحمة بالمدعوين من عصاة وغيرهم، فهو كالطبيب وهم كالمرضىٰ يأخذ بأيديهم إلىٰ بر الأمان ويعطيهم العلاج النافع لهم، قال تعالىٰ عن نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

---

(١) انظر صحيح ابن ماجة للألباني.

٤- كذلك قيام النبي عليه الصلاة بالسلام بهذه الآية يرددها فيه تضرع العبد إلىٰ ربه في الصلاة، وإظهار الافتقار إليه والضعف، والداعية يحتاج إلىٰ مثلك ذلك في صلاته ودعائه، فلا يدعو دعاء الغافلين الساهين، بل يدعو دعاء بلسانه وبحضور قلبه، فإن هذا الدعاء هو المطلوب وهو الأجدر بالإجابة.

٥- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولم يقل: (الغفور الرحيم)، وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالىٰ، فإنه قاله في وقت غضب الرَّب عليهم، والأمر بهم إلىٰ النار، فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة، بل مقام براءة منهم،.. والمعنىٰ: إن غفرت لهم فمغفرتك تكون عن كمال القدرة والعلم، ليست عن عجز عن الانتقام منهم، ولا عن خفاء عليك بمقدار جرائمهم[1].

٦- يُلاحظ في قصة المائدة تعلق عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بربه ودعاؤه بأسمائه وصفاته في عدة مواضع، فقال في أولها:

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم: ١/ ٣٣٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ وقال في آية بعدها: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ وقال بعدها: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾ وقال في الآية التي معنا: ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾، وهكذا الداعية يستحضر في دعائه وفي كل وقته أسماء ربه وصفاته وعظمته وقدرته، فكلما تذكر العبد ذلك زاد إيمانه، وخوفه، وتقواه، وعبادته وطاعته.

٧- وجعلني مباركا أينما كنت

يقول تعالىٰ عن عيسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢﴾ [مريم: ٣٠-٣٢].

عندما وضعت مريم عيسىٰ عليه السلام أتت به قومها تحمله، فتعجبوا من ولادتها، فهي ليست ذات زوج، فأمرها الله أن لا تتكلم مع أحد منهم وأن تشير إلىٰ عيسىٰ عليه السلام، فهو من

سيتحدث بنفسه وهو في المهد، فأشارت إليه فنطق، وأخبرهم بأنه عبدالله قضىٰ الله بأن سيؤتيه الكتاب ويجعله نبيًا، وجعله كذلك مباركًا في كل وقت وزمان نفَّاعًا للخير، مُعلِّمًا للناس، يدعوهم للخير، وينهاهم عن الشر، وكل من جالسه نال من بركاته، وأوصاه ربه بإقامة الصلاة والاهتمام بها والزكاة التي هي حق للعباد ما دام حيًا، وأوصاه ربه بوالدته ببرها والإحسان إليها والقيام بحقوقها، ولم يجعله ربه جبارًا متكبرًا مترفعًا علىٰ عباد الله، ولم يجعله شقيًا في الدنيا ولا في الآخرة، بل جعله مطيعًا خاضعًا متواضعًا لعباد الله.

من الإضاءات الدعوية:

١- من الصفات الحسنة التي ذكرها عيسىٰ عليه السلام عن نفسه أنه مبارك، وأنه لم يكن جبارًا ولا شقيًا، ومن وصايا ربه له الوصية بالصلاة والزكاة وبر الأم.

٢- من أعظم النعم التي يمتن بها الله علىٰ الداعية أن يجعله مباركًا، والبركة هي كثرة الخير، فيجعله مباركًا أينما نزل وحل، ينفع عباد الله يساعدهم يعينهم، يدعو الناس

www.alukah.net
شبكة الألوكة

للخير ينهاهم عن الشر، يحثهم يذكرهم يأمرهم ينهاهم.

٣- من بركة الداعية أنه كلما جلس في مجلس حلَّت به البركة بتذكير الناس، ونصحهم، وحثهم، وقراءة آيات من القرآن، أو حديث من أحاديث النبي ﷺ.

٤- من بركة الداعية أن يستخدم وسائل التقنية والتواصل الاجتماعي في الدعوة إلىٰ الله، فكلما دخل علىٰ هذه الوسائل تجده ينصح هذا، ويوجه ذاك، ويحث الناس علىٰ الخير، ويأتي بالمفيد والجديد والنافع، ويذكر الناس بربهم وخالقهم جل وعلا.

٥- من بركة الداعية أن يعم نفعه وخيره أقرب الناس إليه من والديه، وزوجته، وأولاده، والأقربين إليه، وهم أولىٰ بالمعروف، فبعض الدعاة حريص ونشيط في دعوة الأبعدين، وقد ينسىٰ أهل بيته الأقربين.

٦- من بركة الداعية أن يستثمر الفرص في الدعوة إلىٰ الله، فإذا قابل شخصًا غير مسلم انتهز الفرصة ودعاه للإسلام بمطوية أو كتيب أو غيرها، وإذا قابل رجلًا وقع في معصية

نصحه ووجهه وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، وقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال: لقي عالم عالمًا هو فوقه في العلم، فقال له: يرحمك الله، ما الذي أعلن من عملي؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلىٰ عباده، وقد أجمع الفقهاء علىٰ قول الله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾، وقيل: ما بركته؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أينما كان»[1].

٧- من أهم الأعمال الصالحات التي يجب علىٰ الداعية أن يهتم بها في نفسه ويحث الناس عليها هي الصلوات الخمس، فيهتم بها بإقامتها في الجماعة وبطمأنينة وخشوع، وتبكير إليها، وحرص عليها، مع أداء سننها وما يتعلق بها من أذكار وآيات، فالصلاة هي الصلة بين العبد وربه، ويهتم بحثِّ الناس عليها ودعوتهم إليها والاهتمام بها، وكذلك الزكاة التي هي الركن الثالث من أركان الإسلام.

٨- من الأعمال الصالحات التي ينبغي علىٰ الداعية

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥/ ٢٢٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مزيد اهتمام بها بره بوالديه، فقد يقع التقصير من قبل الدعاة في برِّهم بوالديهم إما تكاسلًا، وإما انشغالًا بالدنيا، حتىٰ لو كان انشغالًا بالدعوة إلىٰ الله، فليس ذلك بمبرر للتقصير في حقهما، فالداعية أولىٰ الناس بالقيام بحق والديه، وخدمتهما ومساعدتهما، وتقديم حقهما علىٰ حقوق غيرهما، فحقهم عظيم قُرن بحق الله عَزَّوَجَلَّ، ومما تُستجلب به البركة في حياة الداعية كونه بارًا بوالديه.

٩- من صفات الداعية عدم التجبر والتكبر علىٰ عباد الله، فصفة الجبروت ليست من صفات المؤمن فضلًا عن الداعية، بل الداعية يكون رحيمًا متواضعًا سهلًا لينًا مع الناس أجمعين، وصفة الجبروت تورث الشقاء، فمن كان جبارًا أصبح شقيًا في الدنيا والآخرة، قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والجبار» المتعظم وهي خلق مقرونة بالشقاء؛ لأنها مناقضة لجميع الناس، فلا يلقىٰ صاحبها من أحد إلا مكروهًا، وكان عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في غاية التواضع»[(١)].

(١) المحرر الوجيز لابن عطية: ٤/ ١٥.

١٠- من صفات الداعية أن لا يكون شقيًا، والشقاء ضد السعادة، والشقاء هو عصيان الله والبعد عنه، فالداعية عبد لله قد يقع في الذنب والخطيئة كحال الناس، ولكن الواجب عليه الحرص علىٰ البعد عن كل ذنب ومعصية، وإن وقع في ذنب يرجع ويستغفر ويتب، ولا يصر ويعاند.

١١- من أعظم الشقاء الذي قد يقع في قلب الداعية وقد يغفل عنه أمراض القلوب، من غل وحقد ورياء وعجب وحسد وكبر، ومن ذلك حب الرياسة، والمنصب، والجاه، والشهرة، والثناء، وغيرها، فهذه الأمراض مهلكة للمرء، محبطة لعمله، جالبة لشقائه وتعاسته، وعلىٰ الداعية تفقد قلبه دائمًا وأبدًا، وتنظيفه وتطهيره مما قد يقع فيه من ذلك، وأن يُكثر من دعاء الله أن يُجنِّبه ذلك ويُطهِّر قلبه منه.

٨- ومبشرًا برسول

يقول تعالىٰ عن عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ [الصف: ٦].

يخبر الله تعالىٰ عن عيسىٰ عليه السلام أنه أخبر قومه بني إسرائيل بأنه رسول من عند الله أرسله الله إليهم مصدقًا لما جاء في التوراة، وهي الكتاب الذي أُنزل علىٰ موسىٰ عليه السلام، وبشرهم برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، وهو النبي محمد ﷺ، فلما جاءهم بالبينات أي محمد ﷺ بالأدلة والبراهين الواضحة اتهموه بأن ما جاء به سحر مبين.

من الإضاءات الدعوية:

١- عيسىٰ عليه السلام بشَّرَ قومَه من بني إسرائيل ببعثة نبي بعده وهو نبينا محمد ﷺ، وقد جاء في الحديث ذِكْر ذلك فقال ﷺ: «**أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرىٰ عيسىٰ عليه السلام**»(١).

قال ابن عاشور رحمه الله: «والتبشير: الإخبار بحادث يسُر، وأُطلق هنا علىٰ الإخبار بأمر عظيم النفع لهم؛ لأنه يلزمه السرور الحق، فإنَّ مجيء الرسول إلىٰ الناس نعمة عظيمة،

(١) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٥٤٥).

ووجه إيثار هذا اللفظ الإشارة إلىٰ ما وقع في الإنجيل من وصف رسالة الرسول الموعود به بأنها بشارة الملكوت»[١].

٢- من صفات الداعية البِشارة بالخير، والبشارة كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب[٢]، وكان هذا هو منهج رسولنا ﷺ في الدعوة إلىٰ الله، فعن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره قال: «**بشِّروا ولا تُنفِّروا، ويَسِّروا ولا تُعسِّروا**»[٣].

٣- البشارة تبعث في نفس المدعوين الاطمئنان، والفرح والسعادة، وانشراح الصدر، والأمل والتفاؤل، قاله تعالىٰ لنبيه عليه الصلاة والسلام في آيات كثيرة: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧] ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥] ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٢٣، التوبة: ١١٢، يونس: ٨٧، الأحزاب: ٤٧، الصف: ١٣] ﴿وَبَشِّرِ

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٢٨/ ١٨١.

(٢) التعريفات للجرجاني: ١/ ١٧.

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٧٣٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤] ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: ٣٧] ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].

٤- كلمة «أبشر» لها وقع في القلوب وأثر في النفوس، فقد وردت عن النبي ﷺ، فعن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجِعرانة بين مكة والمدينة، ومعه بلال فأتىٰ النبي ﷺ أعرابي فقال: ألا تُنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: «أبشر»، فقال: قد أكثرت عليَّ من أبشر، فأقبل علىٰ أبي موسىٰ وبلال كهيئة الغضبان، فقال: «ردَّ البشرىٰ، فاقبلا أنتما»، قالا: قبلنا، ثم دعا بقدح فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه ومجَّ فيه، ثم قال: «اشربا منه، وأفرغا علىٰ وجوهكما ونحوركما وأبشرا»، فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن أفضلا لأُمِّكما، فأفضلا لها منه طائفة[1].

٥- البشارة وسيلة من وسائل الدعوة إلىٰ الله، فعلىٰ الداعية أن يُبشِّر المدعوين بما عند الله من أجور وحسنات

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: ٥/ ١٥٧ برقم (٤٣٢٨).

وخيرات وجنات، ويُبشر العاصي بمغفرة الله ورحماته وبتبديل الله سيئاته حسنات، ويُبشر الكافر إن دخل في الإسلام بأن الله يمحو عنه كل ذنوبه وخطاياه، ويُبشر أهل الأمراض بالأجور العظام، وأهل المصائب والبلاء بالدرجات والمغفرات.

٦- الداعية يُبشِّر الدعاة من أمثاله بالأجور العظيمة عند البذل والاجتهاد والاحتساب، وعند الصبر والبلاء، وقد كان النبي ﷺ يفعل ذلك فمرَّ يومًا وهو بمكة في بداية الدعوة بعمَّار بن ياسر وأهله وهم يُعذبُّون من قِبل كفار قريش، فقال لهم مبشرًا ومصبرًا: «أبشروا آل عمار وآل ياسر، فإنَّ موعدكم الجنة»(١).

٧- مما يجدر الإشارة إليه في البِشارة، مما له علاقة بعيسىٰ عليه السلام، مصطلح «التبشير» وهذا المصطلح يطلقه النصارىٰ علىٰ دعاتهم الذين يدعُون إلىٰ دين النصرانية

(١) أخرجه الحاكم برقم: (٥٦٦٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«المبشِّرون»، وهذا المصطلح ولو كان منتشرًا وعُرفوا به، إلا أنَّ علىٰ المسلمين أن لا يُطلقونه عليهم في كتبهم ولقاءاتهم ومناظراتهم، ويستبدلونه بحقيقة معناه وهو «التنصير والمنصِّرون»، فهم ليسوا مبشِّرين بل إنهم «مُنصِّرين»، فالمبشِّر يدعو الناس إلىٰ الخير والصلاح، أما هم فيدعون الناس إلىٰ دينهم الباطل والكفر بربهم، فوصفهم بالتبشير كأنه إقرار لما هم عليه، وثناء عليهم.

٨- النَّاظر في حال كثير من هؤلاء المنصِّرين يجد منهم البذل، والعطاء، والتضحية بالمال والنفس، والوقت، والسفر، والغربة، والعيش في ديار فقيرة نائية، بل سمعنا من يقضي إجازته السنوية في افريقيا ليس للنزهة والسياحة بل للدعوة، كل ذلك يفعلونه بدون مقابل ولا أجرة بل من أجل الدعوة إلىٰ دينهم الباطل، الدعوة إلىٰ الكفر بالله - والعياذ بالله -، وللأسف دخل في دينهم الكثير، أليس دعاتنا أولىٰ منهم في ذلك كله؟ ألسنا نحن علىٰ حق وهم علىٰ باطل؟

ألسنا نريد أن ننشر ديننا في أصقاع العالم؟ للأسف أعتب علىٰ بعض دعاتنا الذين يتخاذلون ويتكاسلون عن الدعوة إلىٰ الله ليس في السفر إلىٰ تلك البلاد البعيدة وتجشُّم الصِّعاب والنفقات والغربة ربما هذا أمر صعب علىٰ الكثير، ولكن البعض تخاذل في أمر سهل ويسير عليهم من التعاون مع الجهات الدعوية في إقامة برامج دعوية داخل بلدتهم من دورات وكلمات ولقاءات ومحاضرات وغيرها، فيعتذر أو يتغيَّب ويتخاذل بدون سبب مقنع، سبحان الله ! ألا يكن لنا عبرة من هؤلاء المنصِّرين في صبرهم واجتهادهم، فمن يدعو إلىٰ الدِّين الحق وإلىٰ دين الإسلام أولىٰ أن يجتهد ويصبر ويبذل أكثر وأكثر؛ لأنه يدعو إلىٰ الخالق المستحق للعبادة جل وعلا، ولا ننس أن نذكِّر أنفسنا جميعًا بذلك الداعية الكويتي الشيخ عبدالرحمن السميط رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي ترك لنَّا دروسًا وعبرًا في التضحية بالمال، والوقت، والغربة، وترك الديار والأوطان من أجل الدعوة إلىٰ دين الله في إفريقيا وفي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ديار فقيرة بعيدة موبوءة بالأمراض، وقد أسلم علىٰ يديه بعد فضل الله قرابة المليون شخص، ف رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر له، وتقبل منه صالح القول والعمل.

سادسًا: محمد عليه الصلاة والسلام

١- لا تمدنَّ عينيك.

٢- ولقد نعلم أنك يضيق صدرك.

٣- فاستقم كما أمرت.

٤- رب زدني علمًا.

٥- ولا يستخفنَّك الذين لا يوقنون.

٦- ولولا أن ثبتناك.

٧- ما أسألكم عليه من أجر.

١- لا تمدنَّ عينيك

قال تعالىٰ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨].

يُحذر الله تعالىٰ نبيه محمد ﷺ من أن يمدَّ عينيه إلىٰ الدنيا وزخرفها وزينتها وما فيها من نعيم فتشغله عن الآخرة، ثم نهاه عن حزنه وتأسفه علىٰ من لم يؤمن به ويصدِّقْه، ثم أوصاه بأن يخفض ويلين جانبه ويتواضع لعباد الله المؤمنين.

من الإضاءات الدعوية:

١- علىٰ الداعية أن لا يغتر بمتاع الدنيا الزائل، وأن لا يلتفت إليها التفاتًا يشغله عن دعوته وطاعته لربه، قال ابن جزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: لا تنظر إلىٰ ما متعناهم به في الدنيا كأنه يقول: قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم، فلا تنظر إلىٰ الدنيا، فإن الذي أعطيناك أعظم منها»[(١)]، والأخذ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: ١/ ٤٥٥، ذكر ذلك لأن الآية التي قبلها هي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الدنيا أمر مباح بل ضروري حتىٰ يستطيع المرء أن يعيش فيها، فالدنيا مطية إلىٰ الآخرة وزاد يتزود به، ولكن المذموم أن ينشغل العبد بها عن الآخرة وعن مقصده وهدفه الذي خُلق من أجله، فكم رأينا وسمعنا مَن فُتن بالدنيا وملذاتها وشهواتها بعد أن كان طائعًا صالحًا داعيًا إلىٰ ربه، فسقط في وحلها وشراكها.

٢- حزن الداعية علىٰ عدم الاستجابة له ورفض دعوته أمر طبيعي، ولكن المذموم والمنهي عنه أن يزداد هذا الحزن حتىٰ يكون هلاكًا للمرء، وسببًا ليأسه وإحباطه وتوقفه عن العمل والدعوة، كما قال تعالىٰ لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف: ٦]، باخع أي مهلك نفسك.

٣- من صفات الداعية التواضع واللين، وخفض الجناح لعباد الله المؤمنين، وحسن الخلق معهم، من دعاة ومدعوين، فالتواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، وقد قال عليه الصلاة

والسلام: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[(١)].

٢- ولقد نعلم أنك يضيق صدرك

قال تعالىٰ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٤-٩٩].

أمر الله تعالىٰ نبيه محمدًا ﷺ أن يصدع بالحق وبدعوة الإسلام، وأن يبلغها للناس، وأن يُعرض عن المشركين وصدّهم عن دعوته، وأن لا يلتفت إليهم، فإنَّ ربه عَزَّوَجَلَّ كفاه شر المستهزئين به وبما جاء به، وهذا وعد من الله لنبيه عليه الصلاة والسلام أن لا يضره المستهزؤون، وقد فعل تعالىٰ ذلك، فإنه ما تظاهر أحد واستهزأ بالنبي عليه الصلاة والسلام إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة، ثم ذكر وصفهم وأنهم كما يؤذون النبي عليه الصلاة والسلام فإنهم يؤذون الله

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خالقهم ويجعلون معه إلهًا آخر، ثم يخبر الله ﷻ أنه يعلم ما في صدر نبيه محمد عليه الصلاة والسلام من ضيق وهمّ وحزن بسبب ما يقوله الكفار من استهزاء وسخرية واتهامات باطلة، فجاء التوجيه الرباني لنبيه عليه الصلاة والسلام أن يُسبح ربه ويحمده عندما يسمع مثل ذلك، ويكون من الساجدين أي المصلين العابدين، وأن يستمر في عبادة ربه حتىٰ يأتيه الموت.

من الإضاءات الدعوية:

١- علىٰ الداعية أن يصدع بالحق ويجهر به مبينًا له موضحًا حقيقته، ولا يخشىٰ أحدًا، فالحق أحق أن يُتَّبع، يصدع صدعًا يُوقظ القلوب الغافلة، ويعلِّم العقول الجاهلة.

٢- الصدع بالحق والقوة لا يعني الشدة والغلظة المنفرة من الحق، بل صدعًا برفق ولين ويسر في القول والفعل، والدعوةُ بالحسنىٰ والرفق واللين كذلك لا تعني إظهار بعض الحق وإخفاء بعضه مداهنة لبعض الناس وكسبًا لهم، أو من أجل مصالح دنيوية وشخصية.

٣- أوصىٰ الله عَزَّوَجَلَّ نبيه عليه الصلاة والسلام بالتسبيح في هذه الآية وفي آيات أخرىٰ، فقال: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: ١٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر: ٥٥]، وهذا يدل علىٰ فضل التسبيح والتحميد خاصة عند الشدائد.

٤- التسبيح والتحميد من أعظم الأذكار وأفضلها وأكثرها ثوابًا، وقد رتب عليها الشارع الأجر العظيم في أحاديث كثيرة، ويكفينا من ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمن، سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده**»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٤٠٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- يجب علىٰ الداعية أن يعلم أن الله ﷻ يعلم كل ما يُقال له من استهزاء واتهام وعدم استجابة له، وأنه مطلع علىٰ ذلك كله بتفاصيله الدقيقة، وسيثيب المؤمن الصابر عليه ولن يتركه سدىٰ، وهو معه سبحانه بتأييده ونصرته وقوته، فمثل هذا الاستشعار يُذهب عن الداعية الحزن والضيق الذي يجده في صدره، يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

٦- علىٰ الداعية أن لا يلتفت إلىٰ ما يقوله الآخرون من أقاويل واتهامات زائفة باطلة، بل يستمر في طاعة ربه ودعوته متوكلًا عليه تاركًا كل ذلك خلف ظهره.

٧- قد يحس الداعية بشيء من الحزن والضيق جرَّاء رفضه وعدم الاستجابة له، ولربما بسبب الاستهزاء به وبما يدعو إليه، فعليه إذا أصابه شيء من ذلك أن يلتجئ إلىٰ ربه وأن يكثر من ذكره وتسبيحه وتحميده آناء الليل وأطراف النهار، فإن الذكر راحة للقلب، باعث للاطمئنان والسكينة، يحبه الله ويثيب عليه أعظم الثواب، وعليه أن يكثر من

السجود أي: الصلاة ونوافلها، فهي صلة بين العبد وربه ومولاه، قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ أي المصلين، أي العريقين في الخضوع الدائم له بالصلاة التي هي أعظم الخضوع له وغيرها من عبادته، ليكفيك ما أهمَّك فإنه لا كافي غيره، فلا ملجأ إلىٰ سواه، وعبَّر عنها بالسجود إشارة إلىٰ شرفه وما ينبغي من الدعاء فيه لا سيما عند الشدائد، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾»[1].

٨- العبد دائمًا إذا أصابه همٌّ وحزن وضيق وكرب يتوجه إلىٰ من يحبه من البشر حتىٰ يخفف عنه حزنه ويُزيح عنه شيئًا من همِّه وغمِّه، من والدة عطوف، أو زوجة حانية، أو صديق صادق، وأعظم من يُتوجه إليه -وخاصة الداعية- هو الله عَزَّوَجَلَّ فارج الهموم، وكاشف الكربات والغموم، وشارح الصدور والقلوب، الذي يعلم أن عبده الداعية لم يُصبه هذا الهمّ والحزن إلا من أجله ومن أجل الدعوة إلىٰ دينه وشريعته.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٤/ ٢٤١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- فاستقم كما أمرت

قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٢، ١١٣].

يأمر الله نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام بالاستقامة واتباع الطريق المستقيم الذي شرعه الله عَزَّوَجَلَّ، ووضَّحه وبيَّنه، وأن يسلك هذا الطريق هو ومن معه ممن آمن برسالته واهتدىٰ بهديه، ونهاه وحذَّره من الغلو والطغيان في هذا الطريق، فالله عَزَّوَجَلَّ بصير بما في القلوب والظواهر، ثم نهاه وحذَّره مرة أخرىٰ أن يركن ويميل إلىٰ الذين ظلموا أنفسهم، فإنَّ عقاب ذلك أن تمسه النار، ثم لن يكون هناك ولي ينصره من دون الله، ولا نصير يدفع عنه النار.

من الإضاءات الدعوية:

١- يُوصي الله عَزَّوَجَلَّ نبيه عليه السلام بالاستقامة كما أمر ربه، ومحذرًا له من اتباع أصحاب الأهواء، فقال تعالىٰ:

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ [الشورىٰ: ١٥]، فإذا كان هذا التوجيه والتحذير لنبي الأمة الذي يُوحىٰ إليه فكيف بغيره؟

٢- الداعية عليه بالاستقامة في أموره كلها كما يريد الله وكما شرع وأمر، وليس كما يريد هواه وأصحاب الأهواء.

٣- علىٰ الداعية عند استقامته أن تكون استقامة لا تفريط فيها ولا إفراط ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾، فقد يطغىٰ ويتجاوز الحد في دعوته، ويغلو ويتشدد، ويظن أن ذلك حقّ وهو خلاف ذلك.

٤- علىٰ الداعية أن يستشعر أنَّ الله مطَّلع علىٰ ما قلبه، بصير بحاله، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجملة ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ استئناف لتحذير من أخفىٰ الطغيان بأنَّ الله مطَّلع علىٰ كل عمل يعمله المسلمون، ولذلك اختير وصف بصير من بين بقية الأسماء الحسنىٰ لدلالة مادته علىٰ العلم البيِّن، ودلالة صيغته علىٰ قوته»[(١)].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٢/ ١٧٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- أصحاب الأهواء قد لا يكون لديهم مانع أن يتديَّن الداعية، ولكن يريدون استقامة ليست كما أمر الله، بل استقامة تحقق لهم مطالبهم وأغراضهم، وتجعل من الداعية أداة في أيديهم يستغلونها في تحقيق أهدافهم الخبيثة تحت مسمىٰ الشرع والدِّين، ومن أجل تشريع بعض المنكرات.

٦- علىٰ الداعية الحذر من الركون إلىٰ الظلمة أو الميل إليهم أو موافقتهم أو مداهنتهم ومسايرتهم، فقد يدخل الشيطان عليه من باب كسب قلوبهم وتحقيق مصالح أعلىٰ، فيوقعه فيما نهىٰ الله عنه، فيكون مثلهم فيما هم عليه من باطل وضلال، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ ففي هذه الآية: «التحذير من الركون إلىٰ كل ظالم، والمراد بالركون، الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته علىٰ ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم، وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلىٰ الظلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟ نسأل الله العافية من الظلم»[(١)].

٧- قد يميل بعض الدعاة إلىٰ الظلمة ويقف في صفهم

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ١/ ٣٩٠.

من أجل تحقيق بعض المصالح الشخصية له من مال ومنصب، أو حسدًا علىٰ دعاة آخرين أو بُغضًا لهم، أو بسبب خلاف حدث بينهم، فيقف الداعية جنبًا إلىٰ جنب مع الطغاة والمفسدين وأهل الأهواء من أجل مصلحته الباطلة.

٨- علىٰ الداعية أن يسأل الله دائمًا وأبدًا الثبات علىٰ الدين، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وأن يكثر من الدعاء، وقد ورد أن النبي ﷺ كان يُكثر في دعائه: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك**»[(١)]، وورد من دعاء الراسخون في العلم قولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

٤- رب زدني علمًا

قال الله تعالىٰ عن نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بدعائه بطلب الزيادة

---

(١) أخرجه الترمذي وصححه الألباني برقم: (٣٥٢٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من العلم، قال ابن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولم يزل ﷺ في زيادة من العلم حتىٰ توفاه الله عَزَّوَجَلَّ»، وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كانت عجلته ﷺ علىٰ تلقُّف الوحي ومبادرته إليه تدل علىٰ محبته التامة للعلم وحرصه عليه؛ أمره الله تعالىٰ أن يسأله زيادة العلم»[(١)].

من الإضاءات الدعوية:

١- العلم نور وبصيرة للداعية، فكلما زاد علمه زاد فقهه ورزق الحكمة، واختار الأفضل في دعوته، فالداعية صاحب العلم يعلم كيف يدعو؟ ومتىٰ يدعو؟ وبماذا يدعو؟ ومن يدعو؟.

٢- العلم سلاح للداعية ضد الشهوات المهلكة، والشبهات المضللة.

٣- العلم يقي الداعية فتنة الدنيا والمال والجاه والسلطان.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٥١٤.

٤- العلم يُهذِّب السلوك والأخلاق والجوارح والأعضاء.

٥- العلم يُرفع به المرء درجات عند ربه.

٦- فضل العلم وشرفه ومنزلته وفوائده العظيمة ودعاء الله الاستزادة منه، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال في شرف العلم لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالىٰ نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم»[1].

٧- يحتاج الداعية إلىٰ العلم بأحوال المدعوين وأعرافهم وتقاليدهم، وأن يعرف مذهبهم الفقهي، بل حتىٰ بعض المسائل العقدية التي وقع فيها الخلاف والاجتهاد، حتىٰ يدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة وعلم، فجَهْل الداعية بما ذكرنا قد يُوقعه في مشاكل وخلافات مع من يدعوهم، وربما رُفض ما يقوله ويدعو إليه، وهذا الكلام فيمن يدعو في بلد غير بلده ولم يسبق له الذهاب إليها، فالعلم بالواقع وفقهه أمر مهم جدًا.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٤/ ٤١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- ولا يستخفنَّك الذين لا يوقنون

قال تعالىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ [الروم: ٦٠].

هذا الخطاب موجه من رب العالمين لنبي الأمة محمد ﷺ بحثه وأمره بالصبر، فإنَّ ما وعده به ربه حق ويقين وصدق، وحذره من الالتفات للأعداء واستفزازهم له، فإنهم قوم لا يُصدِّقون بما عند الله ولا يوقنون به، قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ﴾ أي يحملنَّك علىٰ الخفَّة ويطلب أن تخف باستعجال النصر خوفًا من عواقب تأخيره، أو بتفتيرك عن التبليغ، بل كن بعيدًا منهم بالغلظة والجفاء والصدع بمر الحق من غير محاباة ما، بُعدًا لا يطمعون معه أن يحتالوا في خفتك في ذلك بنوع احتيال»[(١)].

من الإضاءات الدعوية:

١- الصبر زاد عظيم للداعية يحتاجه في كل وقت وزمان،

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٥/ ٦٤٧.

ولن تقوم الدعوة وتبلغ مبلغها، وتنتج ثمارها إلا بالصبر.

٢- الداعية يحتاج إلىٰ الصبر في مواطن عدة، الصبر علىٰ عدم قبول الآخرين لدعوته وردهم لها، الصبر علىٰ الاتهامات والسخرية والاحتقار، الصبر علىٰ الطاعات ومشقتها، الصبر علىٰ الشهوات وكثرتها، الصبر علىٰ الفتن بعمومها.

٣- إنَّ مما يُعين الداعية علىٰ الصبر تذكر أنَّ وعد الله حق، وأن العاقبة للمتقين، وأن الأجر والثواب مكتوب عند رب العالمين، وأن كل ما يجده الداعية في طريقه من عقبات ومصائب فإنه مسجل له حسنات وأجورًا عظيمة، وكلما زاد صبره عظم أجره، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ وهذا مما يُعين علىٰ الصبر، فإنَّ العبد إذا علم أنَّ عمله غير ضائع بل سيجده كاملا هان عليه ما يلقاه من المكاره، ويسَّر عليه كل عسير»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: ٦٤٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- أعداء الملة والدِّين والدعوة دائمًا يحاولون استفزاز الداعية ويحاولون إخراجه عن سمته وخلقه، فهم يحاولون استفزازه عن طريق ردودهم ومقالاتهم وكتاباتهم واتهاماتهم، ويحاولون استجهاله وإيقاعه في الغي حتىٰ يفعل مثل أفعالهم وأقوالهم السيئة، والنفس قد لا تصبر علىٰ مثل ذلك، فتشتهي الرد عليهم بمثل ردودهم، قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونهي الرسول عن أن يستخفَّه الذين لا يوقنون نهي عن الخفَّة التي من شأنها أن تُحدث للعاقل إذا رأىٰ عناد من هو يرشده إلىٰ الصلاح، وذلك مما يستفز غضب الحليم، فالاستخفاف هنا هو أن يُؤثِّروا في نفسه ضد الصبر»[(١)]، والداعية الموفق الحكيم يأبىٰ مثل ذلك، فيصبر ويتجاهل هذا الاستفزاز، وإن أراد الرد عليهم رد ردًا علميًا بعيدًا عن الأشخاص وذواتهم، ردًا علىٰ الفكرة والموضوع بذاته بكل أدب وخُلق.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٢١/ ١٣٥.

٥- للصبر أهمية عظيمة في طريق الداعية، لذا وردت آيات كثيرة موجهة إلىٰ الداعية الأعظم محمد ﷺ في جوانب كثيرة من ذلك، قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس:١٠٩]، فأمره بالصبر بلا حد ولا نهاية، فالصبر ليس له وقت محدد ومعلوم، بل يصبر المرء إلىٰ أن يقضي الله أمره، لذلك كان أجره عظيمًا فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠]، وقال له: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: ١١٥]، فكلما صبر الداعية عظم أجره، ورفعت منزلته، وزاد إيمانه عند ربه، وكل موقف صبر فيه فإن أجره مكتوب عند ربه، وربه ﷻ عليم به مطلع عليه لا يضيع أجر من أحسن وأطاع وصبر، فمن استشعر ذلك هان عليه الصبر، وقال له: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، فالصبر يستمد من عند الله، ويُطلب منه سبحانه، وهو سبحانه من ينزل الصبر علىٰ العباد ويُلهمهم إياه، وقال له: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، فحثه وأمره بالصبر علىٰ التمسك بمصاحبة المتقين الطائعين، وعدم الالتفات إلىٰ غيرهم ممن يريدون الدنيا وزينتها، وقال له: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل: ١٠]، فحثه وأمره بالصبر علىٰ ما يلاقيه من سباب واستهزاء وسخرية واتهامات باطلة، فطريق الدعوة هو كذلك لا بد فيه من عقبات ومتاعب وصعاب.

٦- ولولا أن ثبتناك

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

يذكر الله لنبيه محمد ﷺ أنَّ كفار قريش أعداء الملة والدِّين حاولوا معه أن يفتنوه عن دعوته ويصرفوه عن دينه،

فيفتري علىٰ الله الكذب، فإذا فعل ذلك أحبُّوه وقرَّبوه إليهم، ويخبر الله عَزَّوَجَلَّ امتنانه عليه بأنه ثبته علىٰ الحق والهداية، ولم يجعله يقع في فتنتهم، وقد كاد يميل معهم ويركن إليهم لولا تثبيت الله له، ثم يُخبر الله أنه لو ركن عليه الصلاة والسلام ومال إليهم لأصابه بعذاب مضاعف، في الحياة الدنيا والآخرة، ثم لن يجد من ينقذه من هذا العذاب، قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾: «والفتن والفتون: معاملة يلحق منها ضر واضطراب النفس في أنواع من المعاملة يعسر دفعها، من تغلب علىٰ القوة وعلىٰ الفكر، وتقدَّم في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾»[1].

من الإضاءات الدعوية:

١- علىٰ الداعية أن يحذر من أعداء الدِّين من الكفار والفجار والمنافقين، فهم يحاولون فتنته عن دينه وتقريبَه لباطلهم، وتنازلَه عن شيء من دينه، وثنيَه عن دعوته، أو

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٥/ ١٧١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السكوتَ عن ذلك، وقد يكون ذلك بإغرائه بشيء من المنصب والمال، وقد يأتيه الشيطان من طريق الدعوة، فيُسايرهم ويُوافقهم علىٰ شيء من باطلهم بحجة دعوتهم وكسب قلوبهم، قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾ أي قاربت ﴿تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ أي الأعداء ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ لمحبتك في هدايتهم وحرصك علىٰ منفعتهم، وكنَّا عصمناك، فلم تركن إليهم لا قليلًا ولا كثيرًا، ولا قاربت ذلك»[(١)].

٢- أنَّ من يُداهن أعداء الدِّين ويميل إليهم فسيكون مقرَّبًا منهم حبيبًا إليهم، يُغدَق عليه بالمال، ويُرفع شأنه لديهم، ويكون هو الأداة التي يستخدمونها في تحقيق فسادهم وحربهم للدِّين باسم الدِّين، ثم يكون مصيره كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾، ثم يُستغنىٰ عنه بعد أداء مهمتهم، فيكون ممن قال الله عنهم:

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٤/ ٤١٢.

﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١].

٣- الله عَزَّوَجَلَّ يمتنّ علىٰ نبيه بتثبيته علىٰ الحق والدِّين، وهو نبي مرسل مؤيد بالوحي؛ لأن الثبات والتوفيق هو من عند الله عَزَّوَجَلَّ.

٤- الداعية يحتاج إلىٰ الثبات خاصة في زمن الفتن، والثبات نعمة من الله تُطلب منه سبحانه، وعليه أن لا يغترّ بنفسه واستقامته وعلمه وطاعته وذكائه وإيمانه، وأن يستمسك بوسائل الثبات من الرفقة الصالحة، والعيش مع القرآن والسنة والعمل بهما، والحرص علىٰ عبادات الخفاء من قيام ليل، وصدقة في خفاء، ودعاء، وذكر، وبكاء، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع العارفون بالله بأنَّ ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات، وأنَّ عبادات الخفاء هي أعظم أسباب الثبات».

٥- يقول السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنه بحسب علو مرتبة العبد، وتواتر النِّعم عليه من الله يعظُم إثمه، ويتضاعف جُرمه، إذا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعل ما يُلام عليه، لأن الله ذكر رسوله لو فعل - وحاشاه من ذلك - بقوله: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾»[1].

٧- ما أسألكم عليه من أجر

قال تعالىٰ عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص:٨٦].

يخبر الله تعالىٰ عن نبيه محمد ﷺ أنه لا يطلب من قومه أجرًا ومالًا، وليس هو من المتكلفين أي الذين يطلبون أمرًا لم يُطلب منهم، فهو لا يطلب منهم إلا ما أمره الله به، فلا يزيد ولا ينقص من ذلك شيئًا.

من الإضاءات الدعوية:

١- تظهر أهمية هذا الموضوع وهو عدم سؤال الداعية المال والأجر علىٰ دعوته، حيث ورد ذكره في ثمان آيات عن النبي عليه الصلاة والسلام كلها تُبيِّن نفيه ورفضه للمال

---

(١) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للسعدي: ٤٦٤.

والأجر من الآخرين، ومن ذلك هذه الآية التي ذكرنها، وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورىٰ: ٢٣]، وقال تعالىٰ عنه: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ٤٧﴾ [سبأ: ٤٧]، وقال تعالىٰ عنه: ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ﴾ [المؤمنون: ٧٢]، والخرج هو الأجر، وقال تعالىٰ: ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٠﴾ [الفرقان: ٥٧]، وقال تعالىٰ عنه: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧﴾ [يوسف: ١٠٣، ١٠٤]، وقال تعالىٰ له: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ [يوسف: ١٠٣، ١٠٤]، وقال تعالىٰ عنه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠]، فكثرة ذكر هذا الأمر في آيات كثيرة دليل علىٰ أهمية توضيح مثل هذا الموضوع، وطرحه بين الناس حتىٰ يعلموا هدف الداعية من دعوته، ويعلم هو كذلك هدفه من دعوته ويحذر ويتجنَّب التَّكسب من دعوته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- كثير من الآيات التي وردت في هذا الموضوع صُدِّرت بقول الله لنبيه: (قل)، وهذا فيه بيان أنَّ الله ﷻ يريد من نبيه إخبار الناس وإعلامهم بهذا الأمر الذي قد يُتهم فيه النبي عليه الصلاة والسلام.

٣- من صفات الداعية العفَّة عما في أيدي الناس من أموال وحظوظ دنيوية، فإن مثل ذلك له أثر في قبول الدعوة وإخلاص النية لله ﷻ.

٤- إن قبول الداعية لأيّ مقابل مادي من قِبل الآخرين، قد يترك أثرًا سيئًا علىٰ الداعية نفسه من حيث تعوُّدُه علىٰ مثل ذلك، والتأثير علىٰ نيته، والإضرار بدعوته، وعدم قبول الناس له، قال السعدي رحمه الله: «وثمَّ مانع للنفوس آخر عن اتباع الداعي إلىٰ الحق، وهو أنه يأخذ أموال من يستجيب له، ويأخذ أجرة علىٰ دعوته، فبيَّن الله تعالىٰ نزاهة رسوله ﷺ عن هذا الأمر فقال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ أي: علىٰ اتباعكم للحق»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٦٣٨.

٥- قد يحتاج الداعية في بعض المواقف أن يُبيِّن للناس ويوضح للناس أنه لا ينال من دعوته أجرًا، خاصة إذا اتُّهم في ذلك وأخذ الناس يتحدثون عنه.

٦- قد يتعجب البعض من بعض الدعاة من بذل أكثر وقته وجهده وصحته وسيارته وبيته بل وماله الخاص في سبيل الدعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ومثل هؤلاء لا شك أنهم استشعروا قول الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢]، فهم يبذلون كل ذلك طلبًا لرضا الله وجنته وثوابه، ولن يستطيع فعل مثل ذلك إلا من أخلص نيته لله.

٧- قد لا يطلب الداعية أجرًا ومالًا علىٰ دعوته، ولكنه يطلب أمرًا آخر وأجرًا من حيث التكسب المعنوي بدعوته، حيث يطلب المكانة والتقدير، والتقديم والحفاوة، والثناء والمدح من قبل الآخرين، وقد يغضب ويرفض تلبية الدعوة إن لم يُقدَّم ويُحْتَفَ به، أو لم يُثن عليه، أو لم يُشكر علىٰ ما قدَّمه، وكل ذلك من مداخل الشيطان ومن التكسب والأجر المذموم الذي يجب الحذر منه، وذكر ابن جماعة رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ من آداب طالب العلم: «أن يُنزِّه علمه عن جعله سُلَّمًا يتوصل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

به إلىٰ الأغراض الدنيوية من جاه، أو مال، أو سمعة، أو شهرة، أو خدمة، أو تقدُّم علىٰ أقرانه»[(١)].

٨- علىٰ الداعية الصادق العامل المجتهد البذول أن يَطمئن، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠]، فكل كلمة، وعمل، وفعل، وإنفاق، وتعب، وجهد، وبذل، فهو مكتوب ولن يضيع عند الشكور جل وعلا.

٩- الأولىٰ والأورع للداعية أن يبتعد عن توظيف دعوته ومكانته الدعوية وعلمه في التكسب الدنيوي.

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة: ١/ ١٢.

الخاتمة

في الختام هذا بحمد الله ما تيسر لي كتابته وتقييده، وما هي إلا تأملات وإضاءات للسائرين في طريق الدعوة إلىٰ الله، حاولت أن أضيء طريقي وطريقهم بمصابيحِ الدجىٰ أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام.

سعيت في هذا الكتاب لوعظ نفسي المقصرة أولًا، وتذكير إخواني الدعاة، علَّنا نقتدي ونسير في طريق الرسل والأنبياء، وأحسب أنَّ كثيرًا من القراء لو أعاد قراءة هذه الآيات والوقفات مع آيات قصص الأنبياء لخرج بالكثير من الفوائد غير ما ذكرت، فالعبر والدروس في قصصهم ومواقفهم كثيرة عظيمة جمة.

لنقرأ قصصهم وحياتهم ونتأملها جيدًا، ففيها كنوز وجواهر للمعتبرين والمتعظين والمتفكرين من الدعاة وعموم البشر، وأُبشر كل داعية بأعظم البشارات التي وردت علىٰ لسان نبينا محمد ﷺ للدعاة ومعلمي الناس الخير حيث

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: «**إنَّ الله وملائكته حتىٰ النملة في جحرها وحتىٰ الحوت في البحر ليُصلُّون علىٰ مُعلِّم الناس الخير**»[(١)]، فالله ﷻ وملائكته يدعون للداعية الذي يُعلم الناس الخير، قلَّ هذا الخير أو كثر، والنملة الصغيرة والحوت العظيم كلها تدعو له، فما أعظمها من بشارة، وعلىٰ الداعية استشعار مثل هذه الأجور كلما كسل وفتر وضعف، وليكن معلمًا للناس الخير بكل وسيلة كانت؛ كلمة، خطبة، لقاء، رسالة، نصيحة، مقطع، فكلها من الخير.

وفي الختام أستغفر الله وأتوب إليه من كل خطأ وزلل، ومن كل تعبير وكلمة صدرت مني قد لا تليق بمقام الأنبياء والمرسلين، فاللهم اجعل عملي خالصًا صوابًا، وانفع به الإسلام والمسلمين، فإن كان من صواب فمن الله، وإن كان من خطأ وتقصير فمن نفسي والشيطان.

---

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٢٧١٩).

ومن حقي علىٰ إخواني النصيحة والنَّقد البنَّاء، فأُرحب وأسعد بهما كثيرًا، فالعمل لا يقوم إلا بالتعاون والتكاتف، وسلام علىٰ المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المراجع

١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
٢- تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
٣- معالم التنزيل للبغوي.
٤- مجموع الفتاوى لابن تيمية.
٥- مدارج السالكين لابن القيم.
٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية.
٧- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي.
٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي.
٩- التحرير والتنوير لابن عاشور.
١٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي.
١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي.
١٢- تفسير القرآن الكريم لمحمد بن عثيمين.
١٣- المختصر في تفسير القرآن لجماعة من علماء التفسير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٤- القرآن تدبر وعمل إعداد مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي.

١٥- يوسفيات لعلي الفيفي.

١٦- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة.

فهرس الموضوعات

أولًا: نوح عليه السلام ١١

١- لا أسألكم عليه مالًا ١٣

٢- ولا أقول لكم عندي خزائن الله ١٥

٣- إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم ١٨

٤- إنا لنراك في ضلال مبين ١٩

٥- يا قوم إني لكم نذير مبين ٢٢

٦- فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا ٢٥

٧- ثم إني دعوتهم جهارًا ٢٧

٨- فقلت استغفروا ربكم ٣٠

٩- ما لكم لا ترجون لله وقارا ٣٢

١٠ - رب اغفر لي ولوالدي ٣٦

ثانيًا: إبراهيم عليه السلام ٣٩

١- ربنا تقبل منا ٤١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- إن إبراهيم لحليم أواه منيب ٤٢
٣- لِمَ تعبد ما لا يسمع ٤٤
٤- إني قد جاءني من العلم ٤٧
٥- إني أخاف أن يمسَّك عذاب ٤٩
٦- لأرجمنَّك واهجرني مليًا ٥١
٧- وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ٥٣
٨- ربنَّا إني أسكنت من ذريتي ٥٥
٩ - يا بني إني أرىٰ في المنام ٥٩
١٠- فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ٦٢
ثالثًا: يوسف عليه السلام ٦٧
١- وكذلك نجزي المحسنين ٦٩
٢- معاذ الله ٧٠
٣- ولقد همَّت به ٧٣
٤- واستبقا الباب ٧٥

٥- وإلا تصرف عني كيدهنَّ ٧٨
٦- إنا نراك من المحسنين ٨١
٧- إلا نبأتكما بتأويله ٨٤
٨- أأرباب متفرقون خير ٨٧
٩- اذكرني عند ربك ٩١
١٠- يوسف أيها الصديق ٩٣
١١ - ارجع إلىٰ ربك ٩٦
١٢ - اجعلني علىٰ خزائن الأرض ٩٩
١٣ - فأسرَّها يوسف ١٠٢
١٤ - قد منَّ الله علينا ١٠٤
١٥ - لا تثريب عليكم اليوم ١٠٧
١٦ - ورفع أبويه علىٰ العرش ١١٠
١٧ - توفني مسلمًا ١١٥
رابعًا: موسى عليه السلام ١١٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١- وأوحينا إلىٰ أم موسىٰ أن أرضعيه ١٢١
٢- رب إني ظلمت نفسي ١٢٨
٣- فلن أكون ظهيرًا للمجرمين ١٣٢
٤- وجاء رجل من أقصىٰ المدينة ١٣٣
٥- عسىٰ ربي أن يهديني ١٣٧
٦- ما خطبكما ١٣٩
٧- قال لا تخف ١٤٣
٨- القوي الأمين ١٤٥
٩- خذها ولا تخف ١٤٨
١٠ - قال رب اشرح لي صدري ١٤٩
١١ - هو أفصح مني لسانًا ١٥٦
١٢ - فقولا له قولًا لينًا ١٥٩
١٣ - وفعلت فعلتك ١٦٢
١٤ - استعينوا بالله واصبروا ١٦٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٥ - اذكروا نعمة الله عليكم ١٦٧
١٦ - لا أملك إلا نفسي وأخي ١٦٨
١٧ - وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ١٦٩
١٨ - وألقىٰ الألواح ١٧١
١٩ - أتتخذنا هزوا ١٧٥
خامسًا: عيسى عليه السلام ١٧٩
١- اذكر نعمتي عليك ١٨١
٢- وإذ أوحيت إلىٰ الحواريين ١٨٧
٣- ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ١٨٩
٤- تعلم ما في نفسي ١٩١
٥- أن اعبدوا الله ربي وربكم ١٩٧
٦- وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ٢٠١
٧- وجعلني مباركا أينما كنت ٢٠٤
٨- ومبشرًا برسول ٢٠٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سادسًا: محمد عليه الصلاة والسلام: ٢١٧
١- لا تمدنَّ عينيك ٢١٩
٢- ولقد نعلم أنك يضيق صدرك ٢٢١
٣- فاستقم كما أمرت ٢٢٦
٤- رب زدني علمًا ٢٢٩
٥- ولا يستخفنَّك الذين لا يوقنون ٢٣٢
٦- ولولا أن ثبتناك ٢٣٦
٧- ما أسألكم عليه من أجر ٢٤٠
الخاتمة ٢٤٥
المراجع ٢٤٨
فهرس الموضوعات ٢٥١

شبكة الألوكة - قسم الكتب